

شرح
الأربعين النووية

الإمام

أبو زكريا يحيى بن شرف النووي
رحمه الله تعالى، المتوفى سنة 676 هـ

شرح فضيلة الشيخ

د. علي بن يحيى الحدادي

حفظه الله تعالى

الشرح لم يراجع من قبل الشيخ

النسخة الأولى

شرح

الأربعين النووية

شرح
الأربعين النووية

الإمام
أبو زكريا يحيى بن شرف النووي
رحمه الله تعالى، المتوفى سنة 676 هـ

شرح فضيلة الشيخ
د. علي بن يحيى الحدادي
حفظه الله تعالى

الشرح لم يراجع من قبل الشيخ

النسخة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

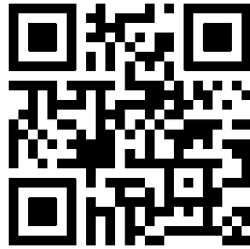
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا تفرغٌ لشرح "الأربعين النووية" للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله. ألقاه فضيلة الشيخ الدكتور علي بن يحيى الحدادي حفظه الله تعالى، ضمن دورة أبي هريرة العلمية الثانية، بجامع أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالمخوة، سنة ١٤٣٩ هـ.

وهو شرح مختصر وتعليق موجز، تضمن فوائد نافعة وإشارات لطيفة. وقد جرى تفرغ هذه المادة من التسجيلات الصوتية، ولم يُراجع هذا التفرغ من قبل فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى، ولذلك قد يقع فيه شيء من السهو أو الخطأ غير المقصود، والكمال لله وحده. ومن أراد الرجوع إلى التسجيلات الصوتية أو المرئية للدروس، فهي متاحة في قناة الشيخ على اليوتيوب، وقد أُدرج رابطها في هذا الكتاب.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لعباده، وأن يجزي فضيلة الشيخ خير الجزاء، ويضاعف له المثوبة، وينفع بعلمه، إنه سميع مجيب. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



للوصول إلى التسجيلات الأصلية للشرح

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فترحبُ بالإخوة الأكارم الذين حضروا هذا الدرس، وكذلك الذين يستمعون إليه، نرحبُ بهم أَجْمَلِ الترحيب، وأسألُ الله عزَّ وجلَّ أن يجعلَ هذا اللقاء، وهذه الدروس، وهذه الدورة عامة، لقاءاتٍ مباركةً ونافعةً لمن يُلقِيها ومن يستمعُ إليها، إِنَّهُ سميعٌ مجيبٌ للدعوات. ونظرًا لضيق الوقت، والحرص والرغبة في إتمام هذا المقرر؛ فإنه لن يكونَ الشرحُ شرحًا مفصلاً موسعًا، وإنما سيكونُ عبارةً عن تعليقٍ موجز؛ حتى يمكنَ المرورُ على جميعِ هذا المتن المبارك: متن "الأربعين النووية".

ومؤلفُ هذه الرسالة الشهيرة هو الإمامُ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ، وهو إمام، وقد نفعَ الله عزَّ وجلَّ بعلمِ هذا العالم الكبير، وكتبَ الله عزَّ وجلَّ له القبول، فاعتنى العلماء بعلمه وبكتبه دراسةً وشرحًا، ومن أشهر كتبه هذه الرسالة الصغيرة في حجمها، الكبيرة في نفعها.

وكذلك كتابه الآخر: "رياضُ الصالحين من أحاديث سيد المرسلين"، فإنه جمع في هذين الكتابين جملةً من الأحاديث النبوية، كما جمع غيره جملاً من أحاديث النبي ﷺ، ولكن انتشار هذين الكتابين يفوقُ غيرهما في الغالب.

والعلامة النووي رحمه الله كغيره من العلماء الذين يُدعى لهم، ويثنى عليهم، ونحبُّهم في الله جلَّ وعلا، وما وقع في كلامهم من الخطأ والزلل في باب الاعتقاد؛ فإنهم يُعْتَذِرُ لهم بأحسنِ العذر، وأنهم اجتهدوا فأخطؤوا، فلا تُتْبَعُ زلاتهم، ولا يُقْتَدَى بهم فيها.

ولكن أيضاً لما عُلمَ من حرصهم على الخير، وعلى الكتاب، وعلى السنة، وخدمتهم للعلم الشرعي؛ فإنَّ هذه الزلة تُغْتَفَرُ في محاسنهم، ولا تكونُ سَلَمًا للخطِّ فيهم والطعنِ عليهم.

وكذلك أيضاً ليس معنى أنَّ هذه الزلة صدرت منه ألا يُردَّ عليها، فإذا قرأنا في شرحه على صحيح مسلم مثلاً، ومرَّ بنا تأويلٌ لصفةٍ من الصفات أو نحو ذلك؛ فإنه يُردُّ ويُبيِّن، ويقال: هذا غلط، هذا خطأ، وهذا خلافُ مذهبِ السلف، كما هي عادةُ مشايخنا وعلمائنا،

يدرسون ويشرحون، وتُقرأ عليهم شروح ابن حجر وشروح النووي، وينبهون على ما فيها من الأخطاء إذا وُجدت.

ولكن مع حفظ أعراض هؤلاء العلماء، وحفظ مقاماتهم، فلا تكون سبباً وعذراً في سبهم وشتيمهم والطعن فيهم، أو تبديعهم بأعيانهم، أو تضليلهم أو تفسيقهم، أو تحريم الترحم عليهم، كما هو شأن بعض الناس.



الحديث الأول

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ" رواه البخاري ومسلم.



الحديث الأول: عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب، القرشي العدوي، المتوفى سنة ٢٣هـ — شهيداً في شهر ذي الحجة رضي الله عنه وأرضاه، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو ثاني الخلفاء الراشدين.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" يعني: لا يُعتدُّ بالأعمالِ شرعاً إلا إذا صدرت عن نية، فأئى عبادة، سواء كانت قولية أو عملية، لا يُعتدُّ بها شرعاً إلا إذا كانت صادرة عن نية التعبد لله جلّ وعلا، والأعمال:

- منها ما يحتاج إلى نية،
- ومنها ما لا يحتاج إلى نية.

ما يحتاج إلى نية، مثلاً: الطهارة التي هي الوضوء عبادة تحتاج إلى نية؛ فمن تَضَمَّنْ، وغسل وجهه، وغسل يديه، ومسح رأسه، وغسل رجله، وهو ينوي الوضوء، كان متوضئاً، ومن فعل ذلك يريد التنظيف، أو التبرّد، أو مجرد التعليم، لا يكون متوضئاً؛ لأنّ الوضوء عبادة تحتاج إلى نية، والحديث يقول "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" يعني: إِنَّمَا يُعتدُّ بها وتُعتبرُ شرعاً إذا كانت ناتجة عن نية، يعني: نية التعبد لله بهذا العمل.

وهناك أشياء لا تحتاج إلى نية، مثلاً نحن مأمورون في الصلاة ألا ندخل في الصلاة بثياب نجسة، فلا بدّ أن نطهر ثيابنا من النجاسة حتى تصحّ الصلاة فيها، فطهارة الثوب من النجاسة شرط لصحة الصلاة.

لكن لو أنّ شخصاً أصاب ثوبه نجس، ثم ذهب إلى الماء وغسل هذا الثوب، وغسله بنية النظافة، ولم يكن وقت تنظيف الثوب مستحضرًا أنّه يغسل الثوب من أجل أن يصلي فيه،

وإنما من أجل تنظيف الثوب؛ فهل إذا جاء وقت الصلاة يصح أن يصلي في هذا الثوب أو لا يصح؟ يصح؛ لأن إزالة النجاسة عمل لا يحتاج إلى نية، فإذا زالت النجاسة حصل المقصود، وعلى هذا فقس، هذا مجرد مثال لعمل يحتاج إلى نية فلا يصح إلا بها، ولا يعتد إلا بها، وعمل لا يحتاج إلى نية، مثل التطهر من النجاسات، ومثل قضاء الحقوق، لو أن شخصاً عليه دين، ثم سدد هذا الدين، وهو لم يستحضر وقت سداد الدين أن أداء الدين وسداده أمر واجب عليه شرعاً؛ هل تبرأ الذمة أو لا تبرأ الذمة؟ تبرأ ذمته؛ لأن الدين الذي أخذه سدده وانتهى.

"إنما الأعمال بالنيات" يعني: إنما يعتد بالأعمال إذا صدرت عن نية، فالعبادة التي لا تصدر منك عن نية صحيحة لا عبادة بها.

ثم قال: **"وإنما لكل امرئ ما نوى"**:

"إنما الأعمال" "وإنما لكل امرئ" هذا الأسلوب يسمى في البلاغة أسلوب القصر:

- **"إنما الأعمال بالنيات"** أي: وليست الأعمال بدون نيات.
- وهكذا **"وإنما لكل امرئ ما نوى"** أي: وليس له شيء لم ينوه.

فأسلوب القصر يفيد الإيجاز؛ لأن القصر يقوم مقام جملتين، أصل الكلام لو لم يكن فيه قصر: لكل امرئ ما نوى، وليس له الشيء الذي لم ينوه، فاستغنينا عن هذه الجملة الثانية الكاملة بهذا الأسلوب الذي أغنت عنه كلمة "إنما".

"وإنما لكل امرئ ما نوى" أصلها: لك ما نويت، وليس لك الشيء الذي لم تنوه، فإن نويت بعملك وجه الله عز وجل والدار الآخرة كان لك ذلك، وإن نويت بعملك المدح والثناء، ولم تُرد به الأجر والثواب، فليس لك إلا ما نويت، إن مدحوك حصلت على الذي طلبت، وإن لم يمدحوك خرجت مفلساً: لا أجر في الآخرة، ولا المدح الذي أردت، ولو كان هذا العمل الذي عملته زهقت فيه روحك، أو ذهب فيه مالك كله.

وتذكرون حديث الثلاثة الذين تُسَعَّر بهم النار قبل غيرهم: عالم، ومجاهد، ومنفق في سبل الخير؛ لكن إلى النار والعياذ بالله، لماذا؟ لأنهم لم يريدوا بهذه الأعمال وجه الله، أرادوا بها الدنيا، أرادوا بها حظًا عاجلاً، فلم يحصل لهم الحظُّ الأخروي، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦]

إذن عليك يا عبد الله أن يكون قصدك، وتكون إرادتك، وتكون نيئتُك في عباداتك ما عند الله سبحانه وتعالى وهكذا أيضاً العبدُ الموفق لا يريد بالعبادات إلا وجه الله، بل حتى في الأمور العادية قد يوفقه الله فيريد بها الأجر والثواب، فتتقلب العادة إلى عبادة.

فانظر إلى ذاك الخاسر والعياذ بالله، بدل أن تصير العبادة طريقاً له إلى الجنة، صارت طريقاً له إلى النار وهذا الموفق حتى الأمور العادية: النوم، والأكل، والشرب، ونحو ذلك، ينوي بها خيراً، فيكون له بها خير، فإذا نوى بالنوم التنشط والتقوي على العبادة صار نومه عبادة، يؤجر عليه وهو نائم على فراشه، والحسنات تُكتب له على هذا الأمر، لماذا؟ لأنه حوله من عادة، ومن حاجة فطرية بشرية، إلى عبادة، بماذا؟ بالنية؛ لأنَّ الرسول ﷺ يقول: "وَأَمَّا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى"، وهذا نوى بنومه القوة على العبادة، فصار له بها أجر.

ثم ضرب النبي ﷺ مثلاً، فماذا قال ﷺ؟ يعني بعدما قرر لنا المسألة، ضرب لنا مثلاً للتقريب والتفهيم، وهذا من حسن تعليمه ﷺ.

قال: "فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ".

لما قال هناك "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ"، أعطانا مثلاً على هذا العمل، فضرب لنا مثلاً بالهجرة، الهجرة عبادة، والعبادة تحتاج إلى نية، والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وهي من العبادات المستمرة إلى قيام الساعة، قال ﷺ: "لَا تَنْقُطُ الْهِجْرَةُ مَا قُوتِلَ الْعَدُوُّ" فالهجرة مستمرة، أمّا قوله ﷺ: "لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ" فهذا خاص بمكة؛ لا هجرة من مكة إلى المدينة؛ لأنَّ مكة فُتحت، فلما فُتحت صارت دارَ إسلام، فما عاد هناك هجرة من مكة، وهذه بشارة بأن مكة تبقى دارَ إسلام إلى قيام الساعة.

"فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ" يعني: هاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام طاعةً لله وطاعةً لرسوله ﷺ، هذا معنى قوله "هَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ"، يعني: هجرته طاعةً لله وطاعةً لرسوله ﷺ.

"فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ" يعني: فقد وقع له أجر هذه الهجرة المراد بها طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وكرر الجملة تنبيهاً على شرف هذه النية وهذه الإرادة، فلم يقل: "فهجرته إليهما"، بل جعل محلّ الضمير اسماً ظاهراً، وهذا يدلُّ على الاهتمام به، وعلى تضخيم شأنه. "فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ" يعني: فقد وقع له الأجر الذي يناسب من هاجر طاعةً لله وطاعةً لرسوله ﷺ.

"وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا" يعني: لتجارة، أو مال، أو دراهم، أو دنائير يكتسبها. "أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا" يعني: هذا خرج من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، والثاني خرج من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، والعمل في الظاهر عمل واحد، لكن فرقت بينهما النية:

- الأول خرج فاراً بدينه، حفاظاً على دينه، ويكثر سواد المسلمين، مهاجراً لله ورسوله، فقد وقع أجره على الله.
- والثاني هاجر يريد الدنيا، إمّا خرج تاجراً، أو خرج خاطباً وناكحاً، فليس له من هجرته إلا أحد الطلبين الذي أراد، ويمكن أن يحصله، ويمكن ألا يحصله.

"فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ" ما قال: فهجرته إلى الدنيا وإلى المرأة، بل جاء بالضمير: "فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ" وهناك ماذا قال؟ "فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ"، ولم يقل: "إليهما"، لماذا؟ لأنّ المقصود هنا الإشارة والتنبيه إلى حقارة هذا القصد، حتى إنّه ليس أهلاً أن يُذكر، تهويناً من شأنه، وتنفيراً عن مثل هذه النية.

رواه إماما المحدثين: البخاري ومسلم. والحديث إذا عُزي إلى البخاري أو عُزي إلى مسلم كان هذا يتضمن فائدتين:

- الأولى: معرفة المصدر، أنّه في البخاري أو في مسلم.

● الثانية: معرفة حكمه، ما دام أنّه في البخاري أو في مسلم، فمعنى هذا أنّه صحيح.

فنستفيد هاتين الفائدتين: معرفة المصدر، ومعرفة حكم الحديث وإذا كان في البخاري وفي مسلم، فهذا أعلى درجات الصحة.
طبعاً نحن ندمج معاني المفردات مع ما قد يُستفاد أو يُستنبط من الجملة؛ اختصاراً للوقت.



الحديث الثاني

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَيْضاً قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتُحَجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هذا الحديث الثاني، وهو مشهور بحديث جبريل، وقد اعتنى به العلماء عناية كبيرة؛ قد شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية شرحاً مطولاً مطبوعاً في مجلد، والشيخ حافظ رحمه الله في "سلم الوصول" نظم مضامين هذا الحديث وشرحه أيضاً في "معارج القبول".

"عَنْ عُمَرَ": لأنه ممنوع من الصرف.

"عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَيْضاً قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ": (بينَ) و(بينما) المعنى واحد، "نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ" النبي ﷺ إذا نظرت في سيرته وقرأت حديثه

تجد أنه يكثر الجلوس مع أصحابه، ويطيل الجلوس ﷺ معهم؛ لماذا؟ لأنه معلّم ومرّب ومبلّغ عن الله عز وجل، فيحتاج هذا منه أن يخاطب الناس، وأن يدعوهم وأن يعلمهم وأن يريهم وأن يهذبهم صلوات الله وسلامه عليه، فما كان منقبضاً عنهم ولا منعزلاً بنفسه عنهم، وهكذا العالم وطالب العلم الذي عنده علم ينفع الناس، ينبغي أن يحتسب الأجر ويجاهد نفسه ويجاهد أشغاله وأهل بيته؛ حتى يؤدي شيئاً من هذا الواجب الذي عليه في تعليم الناس ودعوتهم.

"بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ": وهو جبريل عليه السلام، فهو ملك لكن في صورة رجل، والملائكة أعطاهم الله عز وجل القدرة أنهما تتشكل، فتأتي في صورة رجل كما جاء جبريل في صورة رجل عليه الصلاة والسلام.

"إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يَرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ"

"شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ" يعني ثيابه نظيفة، "وشَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ" يعني أنه مدّهّن شعره ومعتنّ بشعره، ولهذا ليس عليه أثر الغبرة وأثر الشَّعَث ونحو ذلك وهذا نستفيد منه فائدة: وهي أنك إذا أردت أن تخرج من بيتك تخاطب الناس في المسجد أو في العمل أو زيارة لأصحابك أن تعتني بمنظرك بلبسك، فتلبس اللباس الحسن وجاء في رواية أيضاً في غير الصحيح أنه أيضاً كان طيب الرائحة، فإذا استطعت أن تمس الطيب فتطيب، فتخرج إلى أصحابك إلى إخوانك إلى مجالس العلم وأنت في صورة حسنة، وفي هيئة حسنة؛ لأن الرسول ﷺ قال: "أَتَاكُمْ جِبْرِيلُ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ"،

● فعلمنا الدين من جهة السؤال،

● وعلمنا الدين أيضاً من جهة الهيئة التي جاء عليها، لبسه وعنايته بنفسه ورائحته الطيبة.

"لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِمَّا أَحَدٌ": لما يأتي من السفر وبالذات في أيام السفر على الإبل أو على الحمير أو على الأرجل؛ لا بد أن الشخص يظهر عليه أثر السفر والتعب والنصب، فأمره كان ملتبساً؛ كونه نظيفاً وبهذه الصورة معناه أنه من أهل المدينة، وكونه ما يعرفه أحد معناه أنه ليس من أهل المدينة، فكان أمره في شيء من الالتباس.

"حتى جلس إلى النبي ﷺ" يعني مشى إلى أن وصل إلى النبي ﷺ، جلس إليه.

"فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ" يعني كان قريباً جداً من النبي ﷺ، "وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ" في رواية في غير الصحيح، في السنن أنه وضع يديه على فخذي النبي ﷺ، فصورة هذه تدل على أنه حضري من أهل الحاضرة، وهذا التصرف بأنه يضع يديه على فخذي الشخص الذي يجلس عنده كأن هذا التصرف فيه شيء من الجفاء، فلماذا صار أمره ملتبساً عليهم؟ هل هو رجل من أهل المدينة؟ أم غريب؟ هل هو من أهل حاضرة؟ أم من أهل بادية؟ ومنهم من يقول: إنما وضع يديه على فخذي نفسه هو، والقصد من هذا إظهار متعلم يجلس جلسة الأدب بين يدي المعلم.

"فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ" كونه اقترب من النبي ﷺ إلى هذا الحد، معناه أن هذا كان بإذن ورضا من رسول الله ﷺ؛ لأنه شخص غريب يأتي يقترب من الرسول بهذا القرب قد يمثل خطراً عليه، قد يكون يهودياً، قد يكون عدواً من خارج المدينة، قد وقد...، فما دام أنه قُرب ودنى من الرسول ﷺ كان ذلك قرينة على أن الرسول أذن له بهذا الدنو وبهذا القرب.

وتكون الحكمة من هذا الترفق بالشخص السائل، الترفق بطالب العلم، يترفق بمن جاء ليدرس يترفق به؛ حتى إذا اطمأنت نفسه فإنه سيسأل عما يريد، سيدلي بحاجته التي جاء من أجلها، لكن لو أقصى، لو نُقِر، لو أبعد، ربما نفر، وربما ضاق صدره وما انشرح؛ وبالتالي حَرَمَ نفسه وحُرِمَ من خير كثير.

"وقال: يا محمد" ناداه كما يناديه الأعراب الجفاة، أو كما يناديه أيضاً غير أهل الإسلام.

"يا محمد أخبرني عن الإسلام" إذا رجعنا إلى بعض شراح الحديث نجده يقول: **"أخبرني عن"** يعني أخبرني عن أركان الإسلام، أخبرني عن مباني الإسلام، هو السؤال عام، قال: **"أخبرني عن الإسلام"**، لماذا هذا الشراح جاء وقال: أخبرني عن أركان الإسلام؟ استفادوه من أين؟ من الجواب، فلما أجابه الرسول عن أركان الإسلام، كأنه عرف أن المقصود أن السائل يسأل عن أركان الإسلام، عن أصول الإسلام، عن مباني وقواعد الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: **"الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"** وهذا الحديث أيضاً رواه أبو هريرة غير عمر، وحديث أبي هريرة موجود في الصحيحين، أما رواية عمر فهي في صحيح مسلم.

"أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله" وفي رواية: **"أن تؤحد الله ولا تشرك به شيئاً"** وهذا معنى لا إله إلا الله؛ أن تشهد أن لا إله إلا الله يعني أن تعتقد أنه لا معبود حق إلا الله سبحانه وتعالى.

بعض الناس لو سألناه: ما معنى لا إله إلا الله؟ فيقول: لا خالق إلا الله، لا رازق إلا الله وهذا كلامه صحيح أنه لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله، لكن هذا الكلام ما يصلح يكون تفسيراً لـ "لا إله إلا الله"؛ لماذا ما يصلح؟ لأنه لو سألنا هذا الشخص: ما معنى لا إله إلا الله؟ يقول: لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله، نسأله: قريش هل قبلت كلمة لا إله إلا الله؟ يقول لك: لا، رفضت أن تقولها، هل قريش تعتقد أنه لا خالق إلا الله؟ سيقول: نعم، قريش تعتقد أنه لا خالق إلا الله، ما دام تعتقد أنه لا خالق إلا الله لماذا رفضت لا إله إلا الله إذا كانت بنفس المعنى؟ هي رفضتها لأن معنى لا إله إلا الله غير معنى لا خالق إلا الله؛ هي عرفت أن معناه تركوا عبادة غير الله وعبدوا الله وحده، وهذا الذي لا يريدونه، هم يريدون أن

يعبدوا الله ويعبدوا مع الله الأصنام والآلهة والرسول يقول لهم "اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئاً" ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿[الصفات: ٣٥-٣٦].

إذن معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، فكل ما يُعبد من دون الله فعبادته عبادة باطلة، وكل من عبد مع الله إلهاً آخر فما جاء بلا إله إلا الله ولو يقولها في اليوم مليون مرة، فالذي يقول: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، وهو ينادي: يا حسين، يا علي، يا سيد، يا بدوي، يا سيدي عبد القادر، يا فلان، يا علان؛ يطلب منهم المدد والإنقاذ من الهلاك والغرق، ويطلب منهم الشفاء، ويطلب منهم الولد، ويطلب منهم النجاة يوم القيامة؛ هذا جعل مع الله عدداً من الآلهة، هذا يكذب نفسه في قوله لا إله إلا الله، متناقض.

"وتقيم الصلاة" يعني المكتوبة، "وتصوم رمضان" يعني تحتب المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فمعنى "تصوم رمضان" يعني تصوم نهار رمضان، ليس المعنى أن تصوم رمضان أي تصوم ليله ونهاره؛ وإنما المقصود صوم نهاره من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، "وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً" يعني يكون عندك زاد، ويكون عندك راحلة إذا كنت بعيداً عن مكة.

"قال: صدقت" يعني أجبت الجواب الصحيح، وهذا يدل على أن السائل عنده علم، "فعجبنا له يسأله ويصدقه" إذن السؤال كأنه شخص جاهل ما يعرف، والتصديق كأنه شخص يعلم ويُعلم، يعني هذا شيء قد يكون هذا أمراً معتاداً؛ أن تسأل واحداً سؤالاً وأنت عندك الجواب، فليس هذا هو مجرد التعجب عند عمر والصحابة، فيه أيضاً شيء آخر، ما هو؟ أن هذه المعلومات التي الرجل عرفها لا تُعرف إلا عن طريق الرسول، عن طريق الوحي، عن طريق الشرع، وهذا الرجل ما أحد منهم يعرفه، متى هذا الرجل كان مع النبي ﷺ من أجل أن يتعلم منه؟!

● فالتعجب كونه يسأل ويصدق،

● والتعجب أيضاً أنه يعرف هذه المعلومات وهم لم يشاهدوه مع شدة ملازمتهم للرسول لم يشاهدوه مع رسول الله ﷺ، فمن أين أتى بهذه المعلومات؟!

قال: "فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره".

"تؤمن بالله" يعني بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، "وملائكته" بأنهم خلق موجودون هم عباد مكرمون، إلى آخر الصفات التي وصفهم الله بها ووصفهم بها رسوله ﷺ، "ورسله" وتؤمن بالرسول الذين قص الله علينا أسماءهم نؤمن بهم بأسمائهم، والذين لم نعرف أسماءهم نؤمن بهم إجمالاً أن الله رسلاً، "واليوم الآخر" المقصود به يوم البعث والنشور وما يكون فيه من الصحف والموازين والصراط والحوض، وكل ما أخبر الله عز وجل به في اليوم الآخر من جنة ونار وغير ذلك.

"وتؤمن بالقدر خيره وشره" يعني الذي يريد أن يؤمن بالقدر إيماناً يوافق الشرع يؤمن بهذه الأمور الأربعة التي ستأتي: يؤمن بأن الله عز وجل عليم بكل شيء، ويؤمن بأن الله كتب مقادير كل شيء، ويؤمن بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ويؤمن بأن الله خلق الأشياء ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]. هذه مراتب القدر الأربعة:

١. الإيمان بعلم الله.

٢. الإيمان بكتابة الله للأشياء في اللوح المحفوظ.

٣. الإيمان بأن الله إذا شاء شيئاً كان وما لم يشأه لم يكن.

٤. والإيمان بأن الله عز وجل خالق كل شيء.

فإذن مرتبة العلم، مرتبة الكتابة، مرتبة المشيئة، مرتبة الخلق والإيجاد، مثال توضيحي لهذه المراتب الأربعة، نطبقها على إيماننا بالقدر: نحن الآن جالسون في هذا المسجد المبارك الطيب

في "المخواة"، في عصر يوم الخميس، هذا المجلس جلوسنا هذا، درسنا هذا الله عز وجل قد علمه في الأزل، وكتب هذا المجلس في اللوح المحفوظ، ولما جاء موعده شاء الله عز وجل، ولما شاء الله عز وجل أن يوجده أوجده وخلقه، وعلى هذا بالنسبة لكل شيء: علم الله المحيط بكل شيء، كتابة الله في اللوح المحفوظ، ومشيئته، وخلقته وإيجاده.

"وتؤمن بالقدر خيره وشره" الخير ما يسرك والشر ما يسوؤك، الخير ما ينفعك والشر الذي يضرّك، فهو بالنسبة للمخلوق فيه خير وفيه شر ولكن بالنسبة لله عز وجل فكل قضاء الله مآله كل شيء من الله فهو خير، ولهذا يقول النبي ﷺ: **"والشر ليس إليك"**، إنما قضاء الله خير؛ الشر بالنسبة للمخلوق وأما بالنسبة لله فهو خير.

أعطيكم مثلاً توضيحاً لهذا المسلك؛ لأن كثيراً يرد فيها أسئلة واستشكالات في الدروس: الخير والشر هو من الله خلقاً وإيجاداً، إبليس شر أو خير؟ إبليس شر، ومن الذي خلقه؟ الله عز وجل، ومحمد ﷺ خير محض، من الذي خلقه؟ الله عز وجل، فالذي خلق الخير والذي خلق الشر هو الله سبحانه وتعالى، لكن خلق الله لإبليس هل هو خير أم شر؟ خير؛ لأن خلقه ترتب عليه مصالح؛ تميّز أهل الإيمان وأهل الكفر، أهل الصدق وأهل الكذب، أهل الطاعة وأهل المعصية، أهل الإيمان وأهل النفاق، إلى غير ذلك من المصالح.

الحين لما سارق يسرق، مجرم يرتكب جرماً، ويُرفع أمره إلى القاضي، وحكم عليه القاضي بقطع يده؛ قطع اليد بالنسبة للقاضي يعني إصداره الأمر بقطع يده، هذا يُحمد عليه القاضي أم يُذم؟ يُحمد، جزاه الله خيراً، الله يكثر من أمثاله؛ لأنه حكم بحكم عدل فيه خير، وقطع اليد بالنسبة للسارق خير أو شر؟ فيه شر؛ إيلاّم له وتفويت منفعة يده، وتشويه خلقته وصورته، وهذا مثال تقريبي والله المثل الأعلى.

"قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

الإحسان يعني الإتقان؛ أحسن الشيء يعني أتقنه، فمتى يتقن العبد العبادة يتقنها إتقاناً؟ قال: **"أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ"**، كأن الله قد كشف عنه الحجاب فأنت تراه بعينيك، فكيف ستكون طاعتك له وعبادتك له؟ على أكمل الوجوه، يعني لو أن مثلاً شخصاً بين يدي الملك، ملك حازم وصارم يُؤاخذ بالزلة، وأمامه بعض أفراد رعيته تحت بصره ونهاهم عن شيء، وهم أمامه يرونه، كل الذين بين يديه خمسة عشر أو ثلاثة، كيف ستكون طاعتهم له؟ وهو معروف هذا الملك مثلاً السيف عند رأسه، والسيف مسلط في يده، ولو واحد منهم ارتكب مخالفة واحدة مما نهاهم عنها طير رأسه مباشرة، كيف ستكون طاعتهم له؟ أتم طاعة؟ لو قال لهم: "لو ذبابة تقع على أنفك ما تتحرك"، يصبر؛ لو جاء حتى نحل يمكن! لماذا؟ يتحمل ألم قرصة النحلة وإلا يطير رأسه! فإذا استحضر العبد هذا الأمر كيف ستكون علاقته مع الله جل وعلا؟!

فالمقصود أن غاية الإحسان وإتقان العبادة يحصل ويتهيأ للعبد حينما يستحضر هذا الأمر: أن يعبد الله كأنه يرى ربه، **"فإن لم تكن تراه فإنه يراك"** فإن لم تكن ترى ربك -وهذا هو الشاهد ما ترى ربك- فإذا اعبدته عبادة من يستحضر أن الله يراك، استحضر هذا، استحضر أن الله عز وجل مطلع عليك؛ فبهذا الاستحضار -بتوفيق الله عز وجل- يكون العبد محسناً في عبادته لربه، فإذا صلى؛ صلى صلاة متقنة، إن زكى؛ زكى زكاة متقنة، إن صام؛ صام صياماً متقناً، وإن حج كذلك، وإن باع واشترى كذلك، وإن عامل الناس عاملهم على ضوء ذلك، فهو يراقب الله في حركاته وسكناته.

"قال: فأخبرني عن الساعة" يعني متى موعدها؟ هو لا يسأل هل فيه ساعة أو ما فيه ساعة؟ لأنه نَبَّه في البداية هناك في أركان الإيمان قال: **"تُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ"** يعني فيه ساعة وفيه يوم قيامة، وإنما السؤال أخبرني عن موعدها متى ستكون؟ **"قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"** يعني أنت أيها السائل ما تدري أنا كذلك ما أدري ولا حظ ما قال: أنا ما أعرفها كما لا تعرفها أنت، قال: **"مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ"**؛ حتى تشمل كل سائل ومسؤول من الخلق، لو فرضنا مثلاً ميكائيل سأل جبريل: متى تقوم الساعة؟ يصدق

عليها هذا أو ما يصدق: **"مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ"**؟ يصدق، وهكذا كل سائل وكل مسؤول إلى قيام الساعة من الخلق هذا حالهم؛ إن كان السائل ما يدري فالمسؤول أيضاً كذلك لا يدري، لأنه لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله جل وعلا.

وهنا أيضاً نلاحظ أن النبي ﷺ لما سُئِلَ عما لا يعلم بيّن أنه لا يعلم، وهذا فيه أدب من آداب المفتي، من آداب المعلم حينما يُسأل؛ سواء كنت مفتياً معلماً، إذا سُئِلت عما لا تعلم فقل: لا أعلم، يقول ابن مسعود: **"وإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم لا أعلم"**.

"قال: فأخبرني عن أماراتها" يعني علاماتها التي تدل على اقتراب أجلها، ليست فيه علامة تحدد وقت الساعة بالضبط، لكن فيه علامات، فيه أمارات تدل على أن الساعة قد اقتربت.

قال **"أن تلد الأمة ربتها"**: **"الأمة"** يعني المملوكة، **"ربتها"** يعني سيدتها؛ فُسِّر بتفسيرات، فمن التفسيرات:

● أنه يكثر الجفاء والجهل وانقلاب الأحوال، ويكثر العقوق حتى تعامل البنت أمها معاملة السيدة لأمتها؛ كناية عن انتشار العقوق.

● ومنهم من قال: إنما هذا كناية عن انتشار الإسلام وكثرة الفتوح، وبالتالي كثرة السبي؛ وإذا سُبيت المرأة الكافرة ووطئها سيدها المسلم وأنجبت له ابناً أو بنتاً صار الابن والبنت يتبع أباه في الشرف، في الحرية، لا يتبع أمه في الرق والعبودية.

"وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء": **"الحفاة"** ليس معهم نعال، **"عراة"** ليس معهم ملابس كافية، **"رعاء الشاء"** أموالهم الغنم فهم يرعونها ويعتنون بها.

"يتطاولون في البنيان": يعني انقلبت أحوالهم وصاروا أغنياء؛ بعد الفقر والعري صاروا أغنياء، صار عندهم الأموال حتى استطاعوا أن يتطاولوا في البنيان الذي يحتاج إلى قدرة

مالية، وبالمناسبة حينما ترجع إلى شرح الحديث من قديم، من القرن السادس الهجري والسابع الهجري وكذا، تجد بعضهم ينص يقول: "كما هو واقع في زماننا" قبل تسعمائة سنة! ما أدري أطول عمارة كم كان أدوارها؟ الله أعلم! ونحن ماذا نقول في زماننا؟!

"ثم انطلق" يعني انتهت أسئلته ومشى، "فلبث ملياً" يعني لبثت وقتاً، هذا الوقت جاء في رواية أخرى قال: "فلقيني رسول الله ﷺ بعد ثلاث" يعني بعد ثلاث ليالٍ.

"قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه جبريل" **أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**؛ يعلمهم، ألقى عليهم محاضرة أو معلومات مباشرة؟ لا، علمهم عن طريق سؤال مَنْ يعلم، وهذا أسلوب من أساليب التعليم: أن تسأل عما تعلم لأجل أن يعلم من لا يعلم، أنت عندك المعلومة لكن جماعتك وربك يمكن ما يسمعون منك، فجاء شيخ من الخارج، الشيخ الذي من خارج المدينة، تسمع منه أحياناً، فهذا يستغل الفرصة قال: يا شيخ ما حكم كذا وكذا؟ هو يعرف الحكم، فقط يريد جماعته الذين يسمعون يريدهم أن يتعلموا، فأجاب الشيخ، إذا سألت عما تعلم بقصد أن يتعلم الحاضرون فهذا من الأساليب الطيبة، لكن تسأل عما تعلم من أجل التفاخر، التباهي، تُوري الناس أنك تعلم، هذا يكون سؤالاً مذموماً.

فقد أزيل إشكال؛ في بعض الروايات عن أبي هريرة وأنه بعدما خرج السائل قال الرسول: **"نَادُوهُ لِي، التَّمَسُّوهُ لِي"** لما طلَعوا ما وجدوه، فقال النبي ﷺ: **"هَذَا جِبْرِيلُ"**؛ في الحديث أنه مباشرة عرفوا أمرهم راحوا ودوروا عليه ما حصلوه، والرسول أخبر أنه جبريل وهنا عمر بعد ثلاثة أيام، كيف نحل الإشكال هذا؟ يكون عمر بعدما انتهت الأسئلة خرج، وما حضر إرسال النبي للناس ينادونه.

الحديث الثالث

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ" رواه البخاري ومسلم.

الأول والثاني حديثُ عمر، وهذا حديثُ ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جميعاً، توفي سنة ٧٣ هـ، أو في أول التي بعدها: ٧٤ هـ.

سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ" يعني: بنى الله الإسلام على خمس، يعني: على خمسٍ أُسُس، على خمسٍ دعائم.

"شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ" هذا أساسٌ واحد، وهو مفتاح الإسلام، ما يدخل الكافر في الإسلام إلا بتلفظه بهاتين الشهادتين: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسولُ الله.

وتقدم معنا شهادةُ ألا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله، يعني: أن يشهد، أن يصدق، أن يعتقد، أن يبين، أن يخبر أن محمداً، أي: ابن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أنه مرسلٌ من الله جلَّ وعلا إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً، ويشهد أنه بلغ الرسالة، وأنه خاتمُ النبيين ﷺ.

"وَإِقَامُ الصَّلَاةِ" ليس كلُّ صلاة، وإنما الصلواتُ الخمس؛ لأن الصلاة تشمل الفرض والنفل، لكن المقصود هنا الصلواتُ المكتوبة المفروضة، فهي التي تسمى ركناً من أركان الإسلام.

"وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ" يعني: الزكاة المفروضة، زكاة المال، والزكاةُ تجب في أنواعٍ من الأموال:

- تجب في الذهب والفضة، وما يقوم مقامهما من النقود،

- وتجب الزكاة في بهيمة الأنعام: الإبل والبقر والغنم،
 - وتجب الزكاة في عروض التجارة، ما أُعد للبيع والشراء،
 - وتجب الزكاة في الخارج من الأرض: الحبوب والثمار والمعادن والكنوز التي توجد في باطن الأرض،
- هذه الأموال التي تجب فيها الزكاة، وتجب الزكاة بشروط:

- منها تمام الملك،
- منها إذا كان هذا المال مالا حوليّا يجب أن يحول عليه الحول،
- أيضًا بلوغ النصاب، وهكذا، ويختلف نصاب النقدين شيء، ونصاب الزروع والثمار شيء، ونصاب بهيمة الأنعام أيضًا، كلُّ شيء مبين والحمد لله.

"وَحَجَّ الْبَيْتِ وَصَوْمَ رَمَضَانَ" معروفان.

عندنا الشهادتان، من أبي هاتين الشهادتين فهو كافر، فالذي لا يؤمن بالشهادتين هذا كافر.

بالنسبة لإقامة الصلاة، من جحد وجوب الصلاة فهو كافرٌ بالإجماع، لكن من ترك مع إيمانه بوجوبها فهذا فيه خلافٌ بين العلماء، منهم من يكفر بتركها بهذه الصورة، ومنهم من لا يكفر بتركها، فالذين كفروا بتركها استدلوا بأدلة كثيرة، منها قوله ﷺ: **"الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ" "بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ"**، ونحو ذلك من الأدلة، ومنهم من لا يرى الكفر بترك الصلاة إذا كان مقرراً بوجوبها.

بالنسبة لإيتاء الزكاة، إذا ترك الزكاة جاحداً لوجوبها فهو كافر، وأما إذا ترك بذلها وإنفاقها بخلاً فهذا ليس بكافر، فقد دل الدليل على أن تارك الزكاة يُعَذَّبُ في قبره، ويُعَذَّبُ بعد البعث والنشور؛ حتى يرى مصرفه إما إلى الجنة وإما إلى النار، فما دام احتمال أنه يدخل الجنة فمعناه أنه لم يمت على الكفر الأكبر، لو مات على الكفر الأكبر ما كان عندنا احتمال أنه يروح الجنة أو يروح النار، كان ما فيه إلا مصيرٌ واحد وهو النار، والعياذ بالله.

وهكذا بالنسبة لحج البيت وصوم رمضان، من جحد وجوبهما كفر، ومن تركهما تهاوناً وتكاسلاً فقد دلت الأدلة على أنه مسلم لا يكفر بذلك، لكنه على خطرٍ عظيم، والعياذ بالله.

ولهذا جاء عن عددٍ من أهل العلم التكفيرُ بترك هذه المباني، ولكن دلت - كما قلت - الأدلة الصريحة الصحيحة على أن من تركها وهو مقرٌّ بوجوبها أنه في دائرة الفسوق والعصيان، وليس في دائرة الكفر الذي هو الخروج من الإسلام.



الحديث الرابع

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكِتَابِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا" رواه البخاري ومسلم.

"عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه" عبد الله بن مسعود الهذلي، توفي سنة ٣٢ هـ رضي الله عنه وأرضاه.

"قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق" يعني فيما يخبر، "المصدق" يعني أخبر بالصدق، المُخْبَرُ بالصدق، فهو صادقٌ في كلامه، مصدوقٌ فيما يخبر به، ويوحى إليه؛ لأن الذي يخبره هو الله جلَّ وعلا: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

"حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدق" لماذا ابنُ مسعود قدم بهذه المقدمة؟ لأنه سيخبر بخبرٍ عجيب، فأراد التأكيد على صدق هذه المعلومات من باب التأكيد، وإلا فكلُّ مسلم إذا ثبت عنده أن رسول الله ﷺ قال كذا وكذا؛ فإنه لا يتردد في التصديق.

"إِنَّ أَحَدَكُمْ" كلُّ واحدٍ من بني آدم، ليس المقصود: إن أحدكم أيها المسلمون، هذا كلُّ أحد، كلُّ ذكرٍ وأنثى، "يُجْمَعُ خَلْقُهُ" يعني: يُجْمَعُ الماء الذي خرج من أبيه في رحم أمه، فإنه إذا وصل ينتشر في الرحم، فالله عز وجل يجمعه، "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ" يعني: مادة خلقه الذي هو المني، يُجْمَعُ خلقه في بطن أمه في مدة أربعين يومًا.

"إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً" النطفة يعني: الماء القليل، فهو في مدة الأربعين الأولى نطفة، ماء، ولهذا تقرأ في الفتاوى، وتسمع فتاوى أهل العلم، أن المرأة

إذا احتاجت إلى إسقاط الحمل لسبب ما في مدة الأربعين، فالأمر في هذا هين، الأمر فيه سهولة.

"ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ" يعني: من الزمن، من المدة والعلقة: القطعة من الدم، سمي علقَةً قالوا: لأنها تكون متعلقةً في جدار الرحم، والعلم عند الله.

"ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ" يعني: من الزمن، فتتحول إلى الطور الثالث مضغة، وهي القطعة من اللحم، المني يتحول إلى دم، والدم يتحول إلى لحم بإذن الله جلّ وعلا، كم أيضاً؟ أربعين.

"ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ" بعدما يتم له أربعون، وأربعون، وأربعون، المجموع مائة وعشرون، فإذا أتم له مائة وعشرين يوماً أرسل الله الملك، ملكاً من الملائكة الموكل بالرحم.

"فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ" روحٌ من الأرواح التي خلقها الله جلّ وعلا، ينفخ فيه الروح، والروح خلق: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] الله يعلم حقيقة هذه الروح.

فبهذا النفخ يكون هذا المخلوق إنساناً، قبل ذلك ينمو نمواً مثل النباتات، حياة نامية، فيه حياة لكنها تسمى حياة نامية، حياة نمو فقط، ولكن بعد نفخ الروح يكون إنساناً، تكون نفس لها حرمتها.

"وَيُؤَمَّرُ" يعني: يأمره الله، "بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ" يعني: أربع موضوعات، الكلمة هنا كل كلمة تحتها من العلم الشيء العظيم.

"يَكْتُبُ رِزْقَهُ" كل ما كتب الله لهذا الجنين في بطن أمه من الرزق يُسجل، وهو موجود، وسبق هذا الرزق الذي يُكتب سبق به علم الله، وكتبه في اللوح المحفوظ، وهذا الذي عند الملك هو جزء من العلم الذي في اللوح المحفوظ، يُطلع الله عز وجل هذا الملك عليه، ويُظهره له، فيكتب رزقه، يعني: مقداره، كم من الرزق، وما الذي له من الرزق، وحلال أو حرام، وطيب أو خبيث، كل شيء من رزقه يُكتب بالتفصيل.

"وَأَجَلِهِ" يعني: متى الوقت الذي ينتهي فيه أجله وعمره، فالرزق مكتوب، والأجل أيضاً مكتوبٌ ومحدود.

"وَعَمَلِهِ" ويؤمر بكتب عمله، يعني: خير أو شر، طاعة أو معصية، إيمان أو كفر، كل ما يتعلق بعمله.

ثم الخاتمة التي حُتم له بها: "وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ" يعني: ويكتب إن كان شقيًّا كُتب له شقاء، وإن كان سعيدًا كُتب له سعادة، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من السعداء، هذه الأربع الكلمات التي يكتبها الملك في ذاك اليوم.

"قَوْلَ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ" هذا القسم قد يكون من ابن مسعود، وقد يكون من الرسول ﷺ.

"إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ" هذا إلى نهاية الحديث من كلام رسول الله ﷺ، إنما الاختلاف في القسم، في الجزئية هذه، هل هي مرفوعة أم مدرجة من كلام ابن مسعود؟ فالصواب أن ما بعد القسم هذا كله من كلام النبي ﷺ، والقسم احتمال أنه من كلام الرسول، واحتمال أنه من كلام ابن مسعود، لكن القاعدة عندنا دائماً أن الأصل هو الرفع، الأصل أنه من كلام النبي ﷺ؛ حتى يدل دليل على أن هذه الجزئية في الحديث ليست من كلامه ﷺ.

فلما يقول الراوي، يقول ابن مسعود، قال رسول الله ﷺ، كل ما بعد "قال رسول الله" إلى نهاية الحديث الأصل أنها من كلام رسول الله ﷺ، إذا جاء عالم وقال: هذه مدرجة، جملة في أول الحديث، جملة في وسط الحديث، جملة في آخر الحديث، أو كلمة، قال: هذه مدرجة، يعني: أنها من كلام الصحابي، نقول: أعطنا دليلاً.

"قَوْلَ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ" الجنّة لها عمل ما هو؟ الإيمان والعمل الصالح.

"حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ" يعني كناية عن قرب الأجل، يعمل بعمل أهل الجنّة إيماناً وعملاً صالحاً، حتى يدنو أجله، ما بقي بينه وبين الموت إلا قليل.

"فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ" يعني: يغلبه، السبق هنا معناه الغلبة، فيسبق عليه، فيغلبه الكتاب، لاحظوا الحديث: "فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا" هل قال: فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار، يعني يعمل بعمل أهل الجنّة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار، هكذا مكتوبٌ عندهم؟ أجل، فدخل النار

بعمله، هُوَ عمل، هَذَا العمل الَّذِي عمله هُوَ عمل أهل النَّار؛ كَفَرٌ، شَرُّكَ، أَيُّ شَيْءٍ مِنْ عمل أهل النَّار، هَلْ عمله بإرادته واختياره أم غصبًا عَنْهُ؟ باختياره وإرادته، إِذِنْ هَلْ هُوَ الْآنَ مَظْلُومٌ؟ لا، عَمِلَ عَمَلُ أَهْلِ النَّارِ عَمَلًا وَمُرِيدًا مُخْتَارًا عَاقِلًا فَاسْتَحَقَّ عَقُوبَةَ مَا عَمِلَ، اسْتَحَقَّ جِزَاءَ مَا عَمِلَ، فَلَا يُوْجَدُ فِي الْحَدِيثِ إِشْكَالٌ، كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ، لَكِنْ هَذَا الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ لَا حُجَّةَ فِيهِ لِلْكَافِرِ، لَا حُجَّةَ فِيهِ لِلْعَاصِي؛ لِأَنَّكَ عَمِلْتَ عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ بِإِرَادَتِكَ وَاخْتِيَارِكَ، فَالْعَمَلُ عَمَلُكَ وَالْكَسْبُ كَسْبُكَ، وَالْجِزَاءُ جِزَاءُ مَا جَنَّتْ يَدَاكَ.

كما سيأتينا في حديث أبي ذرٍّ: **"يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَيْهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ"**.

هنا تنبيهٌ وَهُوَ أَنَّ الشَّخْصَ الَّذِي يَكُونُ أَكْثَرَ عَمْرِهِ عَلَى إِيْمَانٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ، الَّذِي يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُ يُحْتَمُّ لَهُ بِالْخَيْرِ، فَهَذَا الشَّخْصُ الَّذِي حُتِمَ لَهُ بِالْشَّرِّ، يَعْنِي يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا، وَمَا بَقِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَوْتِ إِلَّا قَلِيلٌ، ثُمَّ يُحْتَمُّ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ وَيَكْفُرُ وَيَرْتَدُّ وَيَمُوتُ كَافِرًا، يَقُولُونَ: هَذَا نَادِرٌ جَدًّا، وَإِذَا وَقَعَ يَكُونُ فِي الْغَالِبِ -وَالْعِيَازُ بِاللَّهِ- بِسَرِيرَةٍ سَيِّئَةٍ، شَيْءٌ يَخْفِيهِ، هُوَ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، لَكِنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ سَيِّئٌ يَخْفِيهِ فَاثْتَلَى بِهِ وَعُوقِبَ بِهِ فِي آخِرِ عَمْرِهِ، نَسَأَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

لَكِنْ مَنْ كَانَ صَادِقًا فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فَعَادَةُ اللَّهِ عِزُّ وَجَلُّ أَنْ مِثْلَ هَؤُلَاءِ لَا يَزِدَادُونَ إِلَّا خَيْرًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

"وَإِنْ أَحَدُكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ" يَعْنِي مِنَ الْكُفَّارِ وَالْعَصِيانِ.

"حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ" كُنَايَةٌ عَنْ قُرْبِ الْأَجَلِ.

"فَيَسْبِقُ" يَعْنِي يَغْلِبُ "عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا" تَبْدُلُ حَالَهُ مِنْ كُفْرٍ إِلَى إِيْمَانٍ، مِنْ نِفَاقٍ إِلَى صِدْقٍ، مِنْ شَرِّكَ إِلَى تَوْحِيدٍ، **"فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا"** يَعْنِي فَيَمُوتُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ؛ وَهَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ كَثِيرٌ، كَمِ مَنْ أُنَاسٍ عَاشُوا عَلَى الْكُفْرِ وَقَبْلَ الْمَوْتِ بِقَلِيلٍ يَشْرَحُ اللَّهُ صَدُورَهُمْ لِلْإِسْلَامِ فَيَسْلَمُونَ، ثُمَّ يُحْتَمُّ لَهُمُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْحَمْدِ لِلَّهِ.

فَمِنْ أَهَمِّ دُرُوسِ هَذَا الْحَدِيثِ أَلَّا يَغْتَرَّ الْإِنْسَانُ بِعَمَلِهِ، وَأَلَّا يَعْجَبَ بِظَاهِرِ حَالِهِ؛ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ بِالْخَوَاتِيمِ "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ" وَأَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَدْرِي بِمَا يُحْتَمُّ لَكَ.

وَمِنْ فَوَائِدِ هَذَا الْحَدِيثِ الْمُسْتَنْبِطَةُ الْإِكْثَارُ مِنْ سَوَالِ اللَّهِ الثَّبَاتُ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وَمِنْ الْفَوَائِدِ أَيْضًا هَذَا الْحَدِيثُ الْمُسْتَنْبِطَةُ مِنْهُ، إِثْبَاتُ قُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ، فَالَّذِي ابْتَدَأَ الْخَلْقَ بِهَذِهِ الصُّورَةِ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَائِهِمْ مَرَّةً ثَانِيَةً، الَّذِي خَلَقَ هَذَا الْإِنْسَانَ السَّمِيعَ، الْبَصِيرَ، الْمُتَكَلِّمَ، السَّاعِي، الْمَاشِي، الْآكِلَ، الرَّاكِضَ، الْعَاقِلَ، خَلَقَهُ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، إِذِنْ هُوَ قَادِرٌ عَلَى الْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ.

أَيْضًا فِي هَذَا حِكْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، اللَّهُ لَوْ شَاءَ لَخَلَقَ الْإِنْسَانَ دَفْعَةً وَاحِدَةً، وَلَكِنْ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ أَنْ دَرَجَ هَذَا التَّدْرِيجَ وَخَلَقَهُ هَذَا التَّخْلِيقَ، مَرَحَلَةً بَعْدَ مَرَحَلَةٍ؛ حَتَّى يَكُونَ هَذَا أَلْطَفَ وَأَرْحَمَ بِالْأُمِّ، لَوْ خَلَقَهُ هَكَذَا دَفْعَةً وَاحِدَةً ابْنُ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ مَرَّةً وَاحِدَةً رُبَّمَا هَلَكْتَ، هُوَ تَحْتَلُّ أَصْلًا وَلَكِنْ -يَعْنِي الشَّيْءَ الْمَشَاهِدَ- أَتَمَّا لَا تَتَحَمَّلُ هَذَا الشَّيْءَ، لَكِنَّ الْعُلَمَاءَ يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُ كَانَ كَذَا لَحَصَلَ كَذَا، لَكِنْ نَحْنُ نَعْرِفُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي حِكْمَتِهِ أَنْ يَخْلُقَ الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ دَفْعَةً وَاحِدَةً كَانَ يَجْعَلُهَا عَلَى هَيْئَةٍ وَحَالَةٍ تَتَحَمَّلُ هَذِهِ الدَّفْعَةَ الْوَاحِدَةَ لَكِنَّ الْعُلَمَاءَ كَثِيرًا يَحْصِلُ فِي كَلَامِهِمْ: لَوْ كَانَ كَذَا لَمَا تَحَمَّلَتِ الْأُمُّ، يَعْْنِي بِحَالَتِهَا الرَّاهِنَةَ.

مِثْلَ مَا قُلْنَا فِي الْبَدَايَةِ لَا نَكْثُرُ تَعْلِيقًا وَشَرْحًا؛ لِأَنَّنَا نُرِيدُ أَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ نَنْهِيَ الْمُرُورَ عَلَى أَحَادِيثِ هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.



الحديث الخامس

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ" رواه البخاري ومسلم.
وفي رواية لمسلم: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ".

"عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضي الله عنها" عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر الصديق، هي زوج النبي ﷺ، وأفضل نسائه بلا خلاف إلا فيما يتعلق بخديجة، فالعلماء مختلفون أيتهما أفضل: عائشة أو خديجة، لكن كونها أفضل من باقي النساء فهذا لا خلاف فيه، قال ﷺ: "فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ".
توفيت رضي الله عنها سنة ٥٧هـ، وكنيتها أم عبد الله، ما أنجبت، ما حملت، ولكن كناها الرسول ﷺ بعبد الله ابن أختها، كناها بابن أختها أسماء بنت أبي بكر الصديق، وابنها عبد الله بن الزبير.

قالت: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ".
"من أحدث" يعني: ابتدع، أتى بأمرٍ محدث، يعني: جديد، "في أمرنا" يعني: في ديننا، أتى بشيءٍ جديد ليس موجودًا لا في الكتاب ولا في السنة، "هذا" يعني: دين الإسلام الذي جاء به ﷺ.

"مَا لَيْسَ مِنْهُ" ما لم يدل عليه دليل، لا من كتاب ولا من سنة، "فَهُوَ رَدٌّ" على وزن "فَعْل" بمعنى مفعول، "فهو رد" بمعنى مردود، إن كان عبادةً فباطلة، وإن كان عقدًا فهو غير نافذ.

"رواه البخاري ومسلم" يعني: متفق عليه.
وفي رواية لمسلم: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ" من فقه النووي أنه أتى بهذا اللفظ، لماذا؟ لأن فيه فائدة جديدة، فالرواية الثانية أعم من الرواية الأولى.

○ الرواية الأولى: "أحدث" يعني: ابتدأ شيئًا جديدًا في الدين.

○ الرواية الثانية: "من عمل" تشمل صورتين:

● الصورة الأولى: من أحدث، ابتدع شيئاً جديداً من نفسه، يصدق عليه أنه عمل.

● الصورة الثانية: من تابع من أحدث، فيصدق عليه أيضاً أنه "عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد".

إذن هذا الحديث بالروایتين يبين أن من ابتدع بدعةً من عند نفسه، أو جاء ببدعةٍ قد سبقَ إليها، فإن هذه البدعة مردودة عليه.

كذلك أيضاً من تعبد لله بعبادةٍ شرعية؛ لكنها على غير ما شرع الله، فهذه العبادة ما لها؟ مردودة أيضاً، من تعبد لله بعبادةٍ شرعية لكنها لا توافق ما شرع الله فهي مردودة، مثال ذلك: واحد احتفل بالمولد النبوي، وجلس في هذا المولد سبع ساعات، ست ساعات، عشر ساعات، وأنفق على هذا المولد مالاً، هل نفقته وعمله وتعبه في هذا المولد عملٌ مقبول أو مردود؟ مردود، لماذا مردود؟ لأنه يصدق عليه الحديث، لسنا نحن الذي نحكم عليه، وإنما هذا قول نبينا ﷺ: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ"، "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ".

ونحن قلنا: "في أمرنا" يعني: في ديننا، هذا الذي يحتفل بالمولد، هو يعتبره عبادة أو يعتبره عادة؟ أو يعتبره لهواً ولعباً؟ ماذا يصنّفه؟ يعتبره عبادة، إذاً هو جزءٌ من الدين في نظره هو، هذا الجزء من الدين هل هو موجودٌ في الكتاب؟ موجودٌ في السنة؟ الجواب: لا، ما في آية، ما في حديث يقول: احتفلوا بمولدي.

إذاً هو زيادةٌ على ما شرع الله، زيادةٌ على الأمر الذي جاء به الرسول ﷺ، إذن حكم الرسول فيه قال: "فَهُوَ رَدٌّ"، التعب باطل، المال هذا باطل، مردود، فهو رد.

شخص صلى لكن صلى بدون طمأنينة، حكم صلاته؟ صلاةٌ باطلة مردودة، متوضئ، ومستقبل القبلة، وقرأ الفاتحة، وقام، وركع، وسجد، وتشهد وسلم، لكن ما جاء بالطمأنينة، كلُّ عمله هذا لا عبرة فيه، أقصد بكل عمله يعني مثلاً: طهارته، واستقبال القبلة، وتلاوته، إلى غيره، النبي ﷺ رأى رجلاً يصلي ما يطمئن في صلاته، ماذا قال له؟ "لَمْ تُصَلِّ" يعني: لم تصل صلاةً شرعيةً معتبرة.

فالعَمَلُ الشرعي حتى يكون مقبولا غير مردود، يجب توفر شرطين اثنين فيه، هما:

- الإخلاص لله،
- والمتابعة لرسوله ﷺ.

فقد الإخلاص ليس على أمر الرسول، وفقد المتابعة ليس على أمر الرسول ﷺ. وأيضاً يُستنبط من هذا الحديث أن من أحدث في أمر الدنيا شيئاً فالأصل فيه الجواز، لماذا؟ لأن الرسول إنما نهي عن الإحداث في الدين، وسكت عن الإحداث في أمر الدنيا، فدل على أن الإحداث في أمر الدنيا مسكوتٌ عنه، الأصل فيه الإباحة. ما يُنهى عن شيء أُحدث في أمر الدنيا إلا شيء دل الدليل على حرمة، وإلا فالأصل الإباحة، أحدث الناس ميكروفونات، أحدث الناس جوالات، أحدث الناس مكيفات، أحدث الناس طائرات، سيارات، قطارات، إلى آخره، هذا كله جائز والله الحمد، ما يحرم شيء من هذه المحدثات إلا بدليل؛ لأنها في غير أمر الدين. في أمر الدين إذا أحدث أحدٌ بدعة أو أحدث شيئاً، نطالب بالدليل: أعطنا دليلاً على أن هذا الشيء مشروع، وإلا فهو مردود. وفي أمر الدنيا ما نحرّم شيئاً منها إلا بدليل، واحد يقول: ما يجوز أن تستعملوا هذه المناديل، لماذا؟ قال: ما كانت على عهد الرسول ﷺ، نقول: أعطنا دليلاً على التحريم، هذا من أمر الدنيا، ما هو من أمر الدين. إذاً عندنا أمران منفصلان:

- المحدثات في أمر الدين الأصل فيها الحرمة.
- والمحدثات في أمر الدنيا الأصل فيها الإباحة.

الحديث السادس

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ" الحلال ما كَانَ مستوي الطرفين، بمعنى أَنَّهُ ليس فِي فعله ثوابٌ وليس فِي تركه عقابٌ، وَهُوَ أحد الأحكام التكليفية الخمسة: الواجب، المستحب، المباح، المكروه، الحرام، يسمى حلالاً، ويسمى مباحاً، المقصود هنا "بالحلال البين" ما أذن الله عز وجل فِيهِ، "إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ" مثل شرب الماء وأكل الخبز ونحو ذَلِكَ مِمَّا أَحله الله وأباحه.

"وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ" المحرمات الَّتِي نهى الله عز وجل عَنْهَا؛ الَّتِي طُلِبَ مِنَ الْمُكَلَّفِ طَلَبًا جازماً أَنْ يكفَّ عَنْهَا، والحرام أو التحريم ما يثاب تاركه ويعاقب فاعله، فالحرام البين مثل الزنا، وقتل النفس بغير حقٍّ، وشرب الخمر، والسرقه، والرشوة، وأمثالها، هَذِهِ أُمُورٌ محرمة بينت الحرمة، دَلَّ الدليل مِنَ الْكِتَابِ، أو دَلَّ الدليل مِنَ السُّنَّةِ، أو دَلَّ الدليل مِنَ الْإِجْمَاعِ، أو دَلَّ الدليل مِنَ الْقِيَاسِ الصَّحِيحِ، عَلَى حرمتها، وتلك أَيْضاً دَلَّ الدليل الصحيح كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، أو الإجماع أو القياس الصحيح عَلَى حلها وإباحتها.

"وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ" يَعْنِي تشبه الحلال مِنْ جِهَةٍ فيميل القلب إِلَى حلها، وتشبه الحرام مِنْ جِهَةٍ فيميل القلب إِلَى تحريمها، فيخفى حكمها عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، لَا يدرون أَيْعْطُونَهَا حكم الحلال أم حكم الحرام، بخلاف الأول والثاني، الأول واضح الحلِّ، الثاني واضح الحرمة، أمَّا الثالث فمشتبه يشبه هَذَا مِنْ طَرَفٍ وَهَذَا مِنْ طَرَفٍ.

○ فالأول كأنه يَقُولُ: "افعلوه، أو ائتوه أو استمتعوا به".

○ الثاني كأنه يَقُولُ: "فاحذروه، فاجتنبوه".

○ الثالث قَالَ: "وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ" يَعْنِي مُشْتَبِهَةٌ حَكَمَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَلَيْسَ عَلَى كُلِّ النَّاسِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ فِيهِ أَنْاسٌ يَعْرِفُونَ حَكَمَهَا، فِيهِ عُلَمَاءٌ، فِيهِ أَنْاسٌ يَعْلَمُونَ حَكَمَهَا، فَالْمُشْتَبِهَةُ لَا يَكُونُ مُتَشَابِهًا عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا هُوَ اشْتِبَاهٌ نَسَبِيٌّ، يَعْنِي بِالنَّسَبَةِ إِلَى فَلَانٍ مُشْتَبِهَةٌ، لَكِنْ هَذَا الْمُشْتَبِهَةُ عَلَى زَيْدٍ هُوَ فِي حَقِّ عَمْرٍو وَاضِحٌ، تَأْتِي تَسْأَلُهُ يَقُولُ لَكَ: "هَذَا قِطْعًا حَلَالٌ لِلدَّلِيلِ كَذَا وَكَذَا"، أَوْ أَنَّهُ حَرَامٌ وَاضِحٌ الْحَرَمَةُ عِنْدَ فَلَانٍ، مَا حَكَمَ هَذَا؟ قَالَ: "حَرَامٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ كَذَا، الرَّسُولُ يَقُولُ كَذَا، لِلدَّلِيلِ كَذَا"، فَهُوَ اشْتِبَاهٌ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ "لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ" يَعْنِي وَيَعْلَمُهُنَّ بَعْضُ النَّاسِ.

"فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ" هُوَ سَكَتَ عَنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي لَوْضُوحِ حَكَمَهُمَا، الْحَلَالِ مَبَاحٌ فَافْعَلْهُ إِنْ شِئْتَ وَاسْتَمْتَعْ بِهِ إِنْ شِئْتَ، الْحَرَامِ يَحِبُّ عَلَيْكَ الْكَفُّ عَنْهُ، لَمْ يَذْكُرِ الْمَوْقِفَ مِنْهُمَا لَوْضُوحِهِ، إِنَّمَا بَيْنَ لَنَا الْمَوْقِفَ مِنَ الثَّلَاثِ، مَاذَا تَفْعَلُ إِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ الشَّيْءُ؟ قَالَ: "فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ" هَذَا خَبَرٌ مَعْنَاهُ الْأَمْرُ يَعْنِي فَاتَّقِ الشُّبُهَاتِ.

"فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ" يَعْنِي مَنْ اجْتَنَبَ الْأَمْرَ الْمُشْتَبِهَ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، فَلَمْ يَخْدُشْهُ بِهَذَا الْأَمْرِ الْمُشْتَبِهَ، وَاسْتَبْرَأَ لِعَرْضِهِ يَعْنِي حَمَى عَرْضَهُ عَنِ التَّهْمَةِ وَالْكَلامِ فِيهِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْمُشْتَبِهَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ حَرَامٌ مِثْلًا، فَإِذَا رَأَوْكَ تَأْتِيهِ ظَنُّ النَّاسِ فِيكَ أَنَّكَ تَأْتِي الْحَرَامَ، فَتَكَلِّمُوا فِيكَ بِمَا ظَهَرَ لَكُمْ مِنْكَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوُقُوعَ فِي الْحَرَامِ، وَالْإِعْلَانُ بِالْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ أَنَّهُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُبِيحَةِ شَرْعًا لِلطَّعْنِ وَالْجَرَحِ. "فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ" وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ مَنْفَعَةٌ اتَّقَاءِ الشُّبُهَاتِ، إِذِنْ فَاتَّقَاؤُهَا مَطْلُوبٌ.

"وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ" مَا اتَّقَاهَا، "وَقَعَ فِي الْحَرَامِ" كَيْفَ؟ يَعْنِي مَنْ تَسَاهَلَ الْوُقُوعَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَالْمُشْتَبِهَ عَلَيْهِ هُوَ، يَقُولُ: "أَنَا لَا أَدْرِي هَذَا الشَّيْءُ حَلَالٌ أَمْ حَرَامٌ وَلَكِنِّي سَأَخُذُهُ"، أَخَذَهُ وَهُوَ مُشْتَبِهٌ عَلَيْهِ، فَالتَّسَاهُلُ بِالْمُشْتَبِهَةِ يَجْرِي إِلَى التَّسَاهُلِ بِالْحَرَامِ الْبَيِّنِ، يَعْنِي

مثلاً الآن هذا حرامٌ بينٌ، وهذا مشتبهُ، هذا الشخص اليوم تجرأ على المشتبه، قيل له: "تعال إلى الحرام"، قَالَ: "أعوذ بالله لا آخذ الحرام"، طيب جاء عند المشتبه حلالٌ أم حرامٌ؟ قيل: "والله لا ندري أهو حلالٌ أم حرامٌ"، قَالَ: "ما دام أَنَّهُ ليس بحرامٍ أكيدٍ فأنا سأأخذه"، أخذه، الآن ضعف عنده الوازع قليلاً، غداً يتجرأ على الحرام الواضح، هذا معنى: **"وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ"** يَعْنِي الَّذِي يَتَسَاهَلُ فِي الْمَشْتَبِهَاتِ يَجْرُ إِلَى التَّسَاهُلِ فِي الْحَرَمَاتِ الواضحات، وفي ذَلِكَ يَقُولُ الناظم:

خُذْ وَاضِحَ الْحِلِّ وَدَعْ مَا اشْتَبَهَا ***** مَخَافَةَ الْمَخْطُورِ يَا مَنْ فَقَّهَهَا

ثمَّ ضرب النَّبِيُّ ﷺ مثلاً لذلك، قَالَ: **"كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى"** الَّذِي يَقَعُ فِي الشُّبُهَاتِ مثله مثل الَّذِي يرعى حول الحمى، "الحمى" يَعْنِي المكان المحمي، المحمي مِنْ دخول النَّاسِ إليه، هم أو دوابهم أو مواشيهم.

"كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ" يَعْنِي الَّذِي يَقَعُ فِي الشُّبُهَاتِ يُوْشِكُ أَنْ يَقَعَ فِي الْحَرَامِ، مثل الشخص الَّذِي يرعى قريباً مِنَ الحمى، ما هُوَ الحمى؟ عادة ملوك العرب أو شيوخ القبائل الكبار ونحوهم يحمون منطقة مِنَ الرعي، لا يراعون فِيهَا إِلَّا هم أهل المرعى خاصة لهم ولدوابهم ولبهائمهم، يمنع عَلَى غيرهم الدخول إليها، فالأماكن المحمية فِي الغالب يكون زرعها أَكْثَرُ، الخير الَّذِي فِيهَا أَكْثَرُ، والمناطق غير المحمية تكون مستهلكة، فالمراعي فِيهَا قليلة، لما يكون عندك دواب وعندك بهائم تريد أَنْ ترعاها تختار لها الأرض الطيبة؛ الَّتِي فِيهَا زرعٌ كَثِيرٌ، وَفِيهَا علفٌ كَثِيرٌ، وَفِيهَا خيرٌ كَثِيرٌ، فتذهب وتقرب مِنَ الحمى، تقرب مِنَ الحمى، إِذَا اقتربت مِنَ الحمى ممكن أَنَّكَ تدخل فِي الحمى، وَإِذَا دخلت فِي الحمى استحققت العقوبة، فما الَّذِي أدخل هذا الشخص داخل الحمى؟

اقتربه مِنْهُ، لو جعل بينه وبين الحمى سياجاً ومكاناً ما يدخله ما وصل إِلَى الحمى أصلاً، يَعْنِي لو جعل بينه وبين الحمى -مثلاً- خمسين متراً أو مائة مترٍ لسلم وما دخل فِي الحمى، لكن اقترب، اقترب حَتَّى وقع، وهكذا الَّذِي يتجرأ على المشتبهات، اليوم مشتبهُ، وغداً مشتبهُ، وغداً مشتبهُ، وبعد غدٍ الحرام الواضح.

وَهَذِهِ هِيَ خَطَوَاتُ الشَّيْطَانِ، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾
[البقرة: ١٦٨]. هَذِهِ خَطَوَاتُهُ يَجْرِكُ إِلَى الْمَعَاصِي شَيْئًا فَشَيْئًا، الْيَوْمَ يَجْرِكُ إِلَى الْمَشْتَبِهَةِ وَغَدًا يَجْرِكُ إِلَى
الْحَرَامِ الْوَاضِحِ.

"أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ" يَعْنِي الْمَحْرَمَاتِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي نَهَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا،
وَكَذَلِكَ الْحِمَى هُنَا حِمَى اللَّهِ أَيْضًا الْوَاجِبَاتِ فَلَا تَتْرَكُهَا، فَإِنْ تَرَكْتَهَا وَقَعْتَ فِي الْحَرَامِ، وَإِنْ
فَعَلْتَ الْحَرَامَ وَقَعْتَ فِي الْإِثْمِ.

"أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً" أَلَا أَدَاةَ تَنْبِيهِ، فِي الْجَسَدِ مُضْغَةٌ قِطْعَةٌ مِنَ اللَّحْمِ عِضْلَةٌ
الَّتِي هِيَ الْقَلْبُ.

"إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"
هَذَا تَنْبِيهُ عَلَى شَأْنِ الْقُلُوبِ وَأَنَّهُ يَجِبُ الْعَنَاءُ بِهَا وَتَطْهِيرُهَا، تَطْهِيرُهَا مِنَ الشِّرْكِ، تَطْهِيرُهَا مِنَ
الْفُسُوقِ، تَطْهِيرُهَا مِنْ أَمْرَاضِهَا كَالْحَسَدِ وَالْحَقْدِ وَالْغِلِّ وَالْبَغْضِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ
الْأَمْرَاضِ الَّتِي حَذَّرَ اللَّهُ مِنْهَا وَحَذَّرَ مِنْهَا رَسُولُهُ ﷺ.

فَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ الْأَمْرُ بِالْوَرَعِ وَذَلِكَ بترك الشبهات، ومن باب أولى الأمر بترك
المحرمات.

وَفِيهِ أَيْضًا التَّوْبَةُ عَلَى شَأْنِ الْقُلُوبِ وَوَجُوبُ الْعَنَاءِ بِهَا، فَالْقَلْبُ لِلْجَسَدِ بِمَنْزِلَةِ
الْمَلِكِ، وَهِيَ الرِّعْيَةُ وَالْجُنُودُ تَأْتِمُرُ بِأَمْرِهِ، فَإِذَا صَلَحَ الْقَلْبُ صَدَرَتْ عَنْهُ الْأَوَامِرُ الطَّيِّبَةُ، وَإِذَا
خَبَثَ الْقَلْبُ صَدَرَتْ عَنْهُ الْأَوَامِرُ الْخَبِيثَةُ يَقُولُ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى
أَمْوَالِكُمْ؛ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ".

الحديث السابع

عَنْ أَبِي رُقَيْةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" قلنا: لمن؟ قال: "لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" رواه مسلم.

"الدِّينُ النَّصِيحَةُ" مبتدأ وخبر، هذا يفيد القصر، يعني: ما الدين إلا النصيحة، هذا معناه، "الحج عرفة" فإذا ما لحقت عرفة فاتك الحج، فهنا كأنه يقول لك: ما الدين إلا النصيحة.

النُّصْحُ في اللغة العربية: التصفية، وتخليص الشيء من الشوائب، تقول: نصحتُ العسل، يعني: صفيته ونقيته، ما بقي فيه إلا العسل الخالص فقط، ما فيه شمع، ما فيه نحل، ما فيه بقايا نحل، عسل مصفى منصوح.

والنصح أيضاً في اللغة: إصلاح الفساد، وهو أيضاً بمعنى التصفية. تقول: نصحتُ الثوب إذا رقعته أو خطته إذا انقطع.

فالمقصود بالنصح هنا: التصفية والتخليص من الشوائب.

الرسول ﷺ قال: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" وفي رواية أحمد: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ" وما أكمل فقط: "الدين النصيحة"، فالصحابة قالوا: قلنا: لمن؟ لمن نصح؟ للفاسق؟ للمبتدع؟ للمشرك؟ للأهل؟ لمن؟

فجاء بجواب عظيم، قال: "لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ".

وهذا فيه أسلوب من أساليب التعليم، أنك تأتي بطرف من المعلومة، وتترك الباقي، لماذا تترك الباقي؟ حتى يتشوف إليها ويتشوق إليها المتعلم، إن سأل أجبتة، وإن ما سأل فهو فرط.

"لِلَّهِ" النصح لله بمعنى: إفراده بالعبادة، هذا النصح لله وكما قلنا: النصح في اللغة التصفية، فتصقي عبادتك لله من شوائب الشرك.

"وَلِكِتَابِهِ" النصح لكتابه سبحانه وتعالى بتلاوته، وتدبره، والتفقه فيه، والعمل به.

"وَلِرَسُولِهِ" النصح للرسول ﷺ بالإيمان به، وطاعته، واتباع سنته، وتقديم محبته على محبة من سواه.

"وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ" النصيحة لأئمة المسلمين، يعني: لولاة الأمر، بطاعتهم في المعروف، والسمع لهم، وعدم الخروج عليهم، وعدم التأليب عليهم، وعدم تنفير الناس عنهم، هذا النصح للأئمة: بالوفاء بحقوق البيعة لهم، والسمع، والطاعة، ولزوم الجماعة، وتأليف القلوب عليهم، والدعاء لهم، ونشر محاسنهم، وستر معائبهم، وزجر ومنع من يؤلب عليهم ويخرج عليهم، كل هذا من النصح لهم.

"وَعَامَّتِهِمْ" وعامة المسلمين: بتعليم الجاهل، وتذكير الغافل، ونصح المحتاج للنصح، ومواساة المحتاج للمواساة، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، والإحسان للفقراء والمساكين، وإحسان الجوار، وصلة الأرحام، كل هذا يدخل في النصح لعامة المسلمين، كلٌّ بحسبه. يعني بعبارة أخرى: تعطي كلَّ ذي حقِّ حقه.

• فحق الله عز وجل عليك أن تعبدوه ولا تشرك به.

• وحق الكتاب عليك: تلاوته، وتدبره، والعمل به.

وهكذا بقية هذه الأشياء الخمسة.

الحديث الثامن

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى" رواه البخاري ومسلم.

"أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ" يعني: أمرني ربي، فالنبي ﷺ متبع لأمر الله، وإذا كان الرسول مأمورًا باتباع ما أمره الله به، فنحن أيضًا مأمورون باتباع ما أمر الله به، باتباع ما أمرنا به رسوله ﷺ؛ وهو المبلغ عن الله جلّ وعلا.

"أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ" يعني بعدما هاجر إلى المدينة وصار عنده قوة على الجهاد، وإلا قبل ذلك كان منهياً عن القتال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ يعني: فرض ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ٧٧] فكان القتال منهياً عنه، ممنوعاً منه، ثم أُمر به.

لما مُنعوا عن القتال كانوا كافين اليد، ولما أُمرُوا به جاهدوا، فالصحابة متبعون، ما تحركهم العواطف، وإنما تحركهم الأدلة الشرعية، بخلاف أهل الأهواء وأهل الجهالة، فالذي يحركهم اليوم العواطف، تحركهم الشبهات، ولهذا يكون نتيجة جهادهم المزعوم شرًّا على الإسلام والمسلمين، لكن جهاد الصحابة أثمر الخير والعز للإسلام وأهله.

الصحابة كانوا يحبون الجهاد ويرغبون في الجهاد بالسلاح، لكن لا يجاهدون بالسلاح لماذا؟ كما قلنا: منهي عنه ولهذا من تشوقهم كانوا يقولون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ [محمد: ٢٠] يعني: تأمر بالجهاد.

ما دام أنتم راغبون في الجهاد، لماذا ما تجاهدون؟ لأن الله ما أمرنا به إلى الآن، وهم قوم يقفون عند حدود الله، ما يتجاوزون حدود الله، ولا يتعبدون الله بالهوى المحض، وإنما يتعبدون لله بالأدلة: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ

رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ هُمُ ﴿٢٠﴾ [محمد: ٢٠]

وهذه من الفوائد اللطيفة العزيزة التي نبه عليها شيخنا الشيخ صالح الفوزان حفظه الله. وبالمناسبة هذا هو الحكم الذي يجب على المسلمين العمل به، فإذا كانوا في وقت ضعف لا يتحرشون بالعدو القوي فيستبيح بيضتهم، ويخرب ديارهم، ويسلب أموالهم، وينتهك أعراضهم، وتعود العاقبة وخيمة عليهم، وإذا كان عندهم قوة وقدرة استعانوا بالله وقتلوا العدو.

"حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ" يعني: حتى يدخلوا في الإسلام بالنطق بهاتين الكلمتين.

وقوله: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ" يعني: أقاتل المشركين غير أهل الكتاب، على قول من قال: إن الجزية لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب فقط؛ لأنه هنا ما فيه إلا قتال أو إسلام، فهذا على قول جمهور أهل العلم: أنه حكم الكفار من غير أهل الكتاب وغير المجوس، أما أهل الكتاب: يهود ونصارى ومجوس، فيقاتلون حتى إما أن يسلموا، وإما أن يدفعوا الجزية، نوضح هذا الآن إن شاء الله.

"وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي" أي: حفظوا وأحرزوا "دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ" لأهم صاروا مسلمين، إذا قالوا هذه الكلمة، شهدوا الشهادتين، صاروا مسلمين، والمسلم يحرم دمه ويحرم ماله، وأيضاً يحرم عرضه، كما في الحديث الآخر: "إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا".

إذن في هذا الحديث أن الكفار يقاتلون في سبيل الله، يقاتلون لماذا؟ للتوسع في الأراضي؟ والتوسع في الغنائم والأموال والدنيا؟ لا، شرع الجهاد لإعلاء كلمة الله، شرع الجهاد لإخراج الناس من الشرك والعبودية للأصنام والأوثان ولغير الله، وتعبيدهم لله وحده ولهذا قبل القتال ندعوهم إلى الإسلام، "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا" يعني: قبل قتالهم، كما يفهم من الأدلة كلها، أنه قبل القتال يُدعون إلى الإسلام، يشرح لهم الإسلام بأسلوب منفر أو مرغوب؟ بأسلوب مرغوب.

الإسلام فيه كذا، يدعو إلى كذا من المكارم، ينهى عن كذا من الخبائث، الإسلام يترتب عليه المصالح الدنيوية كذا وكذا، ويترتب عليه المصالح الأخروية كذا وكذا وكذا، فيدعون إلى الإسلام بما يرغبهم فيه.

قبلوه؟ الحمد لله، هذا الذي نريد، فإن قبلوه كففنا عنهم؛ لأن ليس المراد من القتال مجرد سفك الدماء، الجهاد شرع رحمة في الإسلام، يراد منه الخير لهؤلاء الذين يجاهدون. فإن أبوا وأصروا على الكفر ورفضوا الدخول في الإسلام؛ فنعرض عليهم الجزية، كيف يعني؟ نقول: البلد هذا يكون حكمه لنا نحن معشر المسلمين، لكن تبقون فيها إن أردتم، تبقون في دياركم، لكن الحكم فيها لنا، وتدفعون جزية سنوية، قسط سنوي يقدره ولي الأمر بما يرى.

جاء في حديث النبي ﷺ أنه كان يأخذ منهم ديناراً من كل محتلم، ومن الأغنياء منهم، يعني: من غير الفقراء لكن المقصود أن الجزية قسط سنوي يقدره ولي الأمر بما يراه

- الغني يأخذ منه كذا،
- والمتوسط يأخذ منه كذا،
- والفقير يعفى عنه إذا رأى.

مقابل هذه الجزية توجد مصالح، منها: أنه يتولى المسلمون الدفاع عن هذه الأرض؛ لأنها في حكمهم، ما يكلف أهل الجزية القتال المسلح في الدفاع عن هذا البلد؛ لأنه بلد للمسلمين.

فإن قالوا: لن نسلم ولن ندفع الجزية، يستعينون بالله ويقاتلوهم؛ لأن هؤلاء الرافضين للإسلام، الرافضين للجزية، معناه أنهم حرّموا من وراءهم من قبول دعوة الإسلام. لو بقوا على الكفر وقبلوا الجزية كان المسلمون دخلوا في هذه البلد، وسكنوا، وجاوروهم، ورأوا المسلمين، وسمعوا القرآن، وسمعوا الحديث، ورأوا أخلاق المسلمين، ويكون في هذا دعوة لهم للإسلام.

لكن هم سكروا الطرق، لا دخلوا عن طوعية، ولا قبلوا الجزية فيسمعون ويرون الإسلام ويشاهدون محاسنه، فحرموا أنفسهم من الخير، وحرّموا غيرهم، فيستعين المسلمون بالله ويقاتلوهم، فإن انتصروا فالحمد لله، وإن قتلوا فشهداء في سبيل الله.

وهذا الذي جاء في حديث بريدة بن الحصيب عند مسلم، يقول ﷺ: **"إِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ."** وقال: **"اغزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ"** فيشمل يهودًا ونصارى ومجوسًا ووثنيين، الجميع **"إذا لقيت عدوك فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال: إلى الإسلام، فإن أبوا فالجزية، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم"**

○ من العلماء من يقول: هذا حكم كل مشرك بالترتيب هذا: يدعى إلى الإسلام، فإن أبى فالجزية، فإن أبى فالقتال.

○ ومنهم من يقول: هذا حكم خاص باليهود والنصارى فقط؛ لقول الله تعالى: **﴿مَنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾** [التوبة: ٢٩].

○ ومنهم من يقول: اليهود والنصارى والمجوس؛ لقول النبي ﷺ في المجوس: **"سُنُّوا هِمَّ سُنَّةِ أَهْلِ الْكِتَابِ"** يعني: في أخذ الجزية منهم.

ولكل قول من هذا ذهب إليه جماعة من أهل العلم، لكن كان الأكثر والجمهور على أن اليهود والنصارى والمجوس هم الذين تؤخذ منهم الجزية، وشيخ الإسلام ابن تيمية وآخرون يرون أن الجزية تؤخذ من كل أحد.

"إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ" يعني: إذا أسلم وارتكب جرمًا، هذا الجرم يبيح دمه في الإسلام، أو يبيح ماله في الإسلام، أو يبيح عرضه في الإسلام، فإنه يؤخذ به، يعني: الإسلام لا يعصمك من إقامة الحد عليك إذا ارتكبت ما يوجب الحد.

- مسلم زنى، يجلد أو لا يجلد؟ يجلد.
- مسلم زنى وهو محصن، يرجم أو لا يرجم؟ يرجم.
- مسلم قتل مسلمًا بغير وجه حق، يقتل به.

هذا معنى قوله: **"إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ"** يعني: إلا إذا ارتكب جرمًا، الإسلام يوجب فيه عقوبة، سواء القتل أو ما دون القتل، فيقام عليه الحد.

"وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ" يحاسبهم على الظاهر وعلى الباطن، لكن نحن نعامل الناس على الظاهر فقط، الذي يظهر لنا الإسلام نعامله على أنه مسلم، لكن إذا كان يظهر الإسلام ويبطن الكفر، الله يحاسبه على الكفر؛ لأن الله لا يخادع سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] هذا معنى قوله: "وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ" يعني: نحن نحاسب الناس على الظاهر.

فإذن الكفار قلنا لهم: قولوا لا إله إلا الله، وإلا ادفعوا الجزية، وإلا قاتلناكم، فقالوا: لا إله إلا الله، أسلموا، ولكن أسلموا نفاقاً، نحن ما لنا منهم إلا الظاهر فقط، إن بقوا على هذا النفاق حتى ماتوا لم تنفعهم هذه الكلمة في الآخرة، صَحَّ نَفَعْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حُقِنَتْ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَأَعْرَاضُهُمْ، لكن لا تنفعهم عند الله جلَّ وعلا؛ لأنهم لم يقولوها عن صدق.

الحديث التاسع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاتُّوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ" رواه البخاري ومسلم.

"عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر" من أين عبد الرحمن بن صخر؟ دوس، أين مكانها دوس؟ قرية أو بعيدة؟ قرية، هذه ديار أبي هريرة هنا قرية، الشباب الذين جاءوا من خارج المملكة، والدورة باسمه.

"عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي": مختلف في اسمه واسم أبيه على أكثر من ثلاثين قولاً، لماذا؟ لأن كنيته اشتهرت ونُسي اسمه، لكن أشهرها: عبد الرحمن بن صخر، وعند النسّابين: عمرو بن عامر.

"قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: 'مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ' مرة يأتي: 'عن النبي ﷺ'، أو 'قال النبي ﷺ'، وبعضها: 'سمعت' إذا قال: 'سمعت'، يعني: من فم النبي ﷺ مباشرة، يعني لما قال الرسول: 'مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ' أبو هريرة كان يسمع كلام النبي ﷺ وهو يقول هذا الكلام، هذا معنى 'سمعت'، لكن لو قال أبو هريرة: أن رسول الله قال، أو: عن رسول الله أنه قال، هنا قد يكون سمعه أو سمع من راوٍ آخر عن رسول الله ﷺ.

"مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ" "ما" بمعنى "الذي"، يعني: الشيء الذي أنهاكم عنه فاجتنبوه. "وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاتُّوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ" وهذا يدل على أن النهي أشد من الأمر، باب المنهيات أشد من باب الأوامر، كيف عرفنا هذا؟

□ في باب النهي قال: "فَاجْتَنِبُوهُ" كله، قليله وكثيره، نهيتكم عن السرقة، إذن لا تسرقوا، ما قال: فاجتنبوه ما استطعتم، بل فاجتنبوه بتاتاً، اجتنبوه إطلاقاً، لا تسرق قليلاً ولا كثيراً، لا تنزوا لا مرة ولا عشرين مرة، لا تقتلوا لا نفساً ولا ألف نفس.

□ في باب الأوامر قال: **"وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ"** لأن الأمر فعل،

والفعل فيه كلفة، والكلفة القوة عليها تتفاوت، أما المنهيات فهو ترك، تحبس نفسك فقط، ليس فيه فعل.

صحيح أن الترك ليس سهلاً، فيه منازعة للنفس، فيه مجاهدة للنفس، لكنه يبقى تركاً، والترك يفترض أن كل واحد يطيقه؛ لأنه يقول لك: لا تفعل، يعني مثل ما تقول لواحد: قم امش، أو قم اجر، وتقول لواحد: اجلس، أين الأمر الذي فيه راحة؟ الذي قلنا له: اجلس لكن الذي قلنا له: امش، اجر، اركض، هذا فيه تعب.

"مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ" يعني: نحن أُمِرنا بالصلاة قائمين، فيها وقوف، واحد ما استطاع أن يصلي قائماً، ما يستطيع، يقال له كما أمر النبي ﷺ: صلّ قاعداً، ما تستطيع أن تصلي قاعداً صلّ على جنب، ما تستطيع على جنب صلّ مستلقياً على ظهرك.

"فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ" يعني: اجتنبوا هذه الخصلة "كثرة مسائلهم" يعني: الأسئلة التي مصدرها التعنت، والتكلف، والتنطع.

فالنبي ﷺ قال: **"إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا"** واحد سأل: أي كل عام يا رسول الله؟ الرسول قال: حجوا، لو واحد حج مرة واحدة يكون ممثلاً أو غير ممثل للأمر؟ ممثل للأمر، ما الداعي إلى هذا السؤال: "أي كل عام؟" لو قال الرسول: نعم، ماذا سيكون الحال؟ سيجب لو قال: نعم.

ولو وجب الحج في كل عام تكون مشقة عظيمة وبالغة على المسلمين، مشقة على جيران مكة كل عام، كيف يأتي إليها الذي يسكن في مشارق الأرض ومغاربها؟

فالنبي ﷺ كره هذا السؤال لما فيه من التشديد على الناس، والسلف يحذرون من أنواع من الأسئلة:

- السؤال الذي في وقت التشريع، ويترتب عليه تحريم شيء كان حلالاً.
- والأسئلة التي فيها تعنت،
- والأسئلة التي يراد منها التشويش والتلبيس على المسؤول لما فيها من الإيهام والخفاء والغموض الشديد.

- والأسئلة التي يريد السائل منها أن يظهر أنه رجل مطلع وكذا وكذا، يريد به المدح.

هذه أسئلة مذمومة شرعاً.

وأما الأسئلة التي يراد بها التعلم، والتفقه، والاستفادة، فهذا غير منهي عنها، بل الله أمر بها: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

"فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ" أهلك من قبلنا من اليهود والنصارى أيضاً قال: "وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ" هل نقرأها: "فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ" أو كما قرأ الشيخ: "وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ"؟ الوجهان صحيحان:

- لكن إذا قلنا: "وَاخْتِلَافُهُمْ" هذا يكون أفضل، لماذا؟ لأن مجرد مخالفة للنبي ﷺ ستعد مخالفة مذمومة، ولو واحدة.

- لكن إذا قلنا: "وَاخْتِلَافُهُمْ" بالكسر، كأن الذم متى يكون؟ إذا كثرت المخالفات، وهذا غير مراد.



الحديث العاشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ." فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ. وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ". رواه مسلم.

"إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ" يعني: مقدسٌ منزّهٌ عن كل صفات النقص، هذا معنى "طيب"، منزّهٌ عن صفات النقص، متصفٌ بصفات الكمال والجمال والجلال سبحانه وتعالى.

"لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا" من الأقوال، ومن الأعمال، ومن الأموال فلا يقبل إلا ما كان طيبًا، والطيب يعني: ما كان خالصًا لوجهه، وموافقًا لهدي رسوله ﷺ، هذا الطيب من العمل.

والطيب من المال: ما كان مباحًا في نفسه، ومباحًا في كسبه، مباح في نفسه؛ لأن هناك شيئًا محرّمًا في نفسه مثل الخنزير والكلب، وهناك شيء حلال في نفسه، ولكن يحرم بسبب الكسب.

لو واحد مثلاً عنده شاة ذبحها وتصدق بها، صدقة طيبة، ذبح كلبًا وتصدق به، يصلح هذا؟ ما يصلح؛ لأن الكلب خبيث، ما يؤكل، حرام، هذا الخروف الذي قلنا إنه حلال وطيب في نفسه، لو أن شخصًا سرق خروفاً، ذبحه وتصدق به على الفقراء، صدقة طيبة أو خبيثة؟ الخبيثة، لأن الخروف حلال وطيب في نفسه، لكن صار خبيثًا من جهة الكسب.

فمن تقرب إلى الله ببدعة، الله ما يقبلها؛ لأن البدعة خبيثة وليست طيبة.

ومن تقرب إلى الله بعبادة لكنها غير موافقة للشرع، لا يريد بها وجه الله، أو لا تكتمل شروطها وأركانها؛ فالله ما يقبل هذا العمل؛ لأنه عمل ما هو على ما شرع.

ومن تصدق لله بصدقة لكنها خبيثة، إما لذاتها وإما لكسبها، فهي صدقة باطلة لا يقبلها الله، مردودة على صاحبها.

"وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ" هذا فيه تشريف للمؤمن، أن الله ساوى بينك وبين أنبيائه ورسله في هذه الجهة، وهو أنه أمر رسله بأمر، وأمرك بنفس الأمر، فهذا فيه تشريف لمقام أتباع الأنبياء.

"وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ" فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]

فأمر الرسل بالأكل من الطيبات، وأمر المؤمنين أيضًا بالأكل من الطيبات. وهذا يدل على أن الرسل عبادٌ مأمورون، وإذا كانوا عبادًا لله مكلفين فهم لا يُعبدون مع الله جل وعلا، ولا يُعطون شيئًا من صفات الربوبية أو الألوهية، ولا يعطون شيئًا من الأسماء والصفات التي لا تكون إلا لله جل وعلا.

"ثم ذكر الرجل يطيل السفر" يعني أبو هريرة هو الذي يقول: "ثم ذكر" يعني الرسول ﷺ، "الرجل يطيل السفر" يعني: في سفر طاعة، حج، طلب علم، جهاد.

"أَشْعَثَ أَغْبَرَ" يعني: من وعثاء السفر، ونصب السفر، وتعب السفر، "يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ" إشارة إلى أن الله في السماء، في العلو، "يَا رَبِّ، يَا رَبِّ" رافعٌ يديه، ويُلحُّ في الدعاء.

كم عندنا سبب من أسباب استجابة الدعاء هنا؟ السفر، ورفع اليد، والإلحاح في الدعاء، الذي هو التكرار، هذه بعضها، ليست كلها الآن، ثلاثة أسباب من أسباب استجابة الدعاء لكن هل استجيب دعاؤه؟ ما استجيب، لماذا؟ الذي منع دعاءه أن يستجاب أكله الحرام؛ ولهذا قال ﷺ: "وَمَطْعُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذْيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لَهُ" إذن معنى ذلك أن أكل الخبيث من أسباب عدم استجابة الدعاء، من أسباب رد الدعاء وعدم قبوله، والعياذ بالله.

كما أن أيضًا الأكل الخبيث من أسباب فساد العمل، وبالمقابل الأكل الطيب من الأسباب المعينة على صلاح العمل، فالأكل الطيب يعني الحلال المباح، يصلح الله به القلب،

وصلاح القلب به صلاح الجسد، ولكن الخبيث يفسد القلب، وإذا فسد القلب فسد الجسد ولهذا نلاحظ: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢] فيأتي الأكل الطيب بعده عمل صالح وهنا جاء أكل خبيث، فجاءت عاقبة خبيثة قبيحة بالنسبة له، وهي أن دعاءه رُدَّ ولم يُستجب، والعياذ بالله. **"فَأَنِّي يُسْتَجَابُ لَهُ" - "أَنِّي" ليست للاستحالة، ولكنها للاستبعاد، كيف؟ بمعنى الذي يأكل الأكل الحرام، لنفرض أن شخصًا أكله كله من الرشوة، أكله ورزقه كله من الرشوة، هل هذا الشخص يمكن أن يدعو يومًا وربّه يستجيب له أو لا يمكن؟**

- إذا قلنا: **"فَأَنِّي" للاستبعاد وليس للاستحالة، ممكن يقبل.**
- لكن لو فسرنا **"فَأَنِّي يُسْتَجَابُ لَهُ" بمعنى: مستحيل، يكون هذا الشخص لا يمكن أن يستجاب له دعاء، ولكن هذا ليس المقصود.**

معنى **"فَأَنِّي"** يعني: فكيف، يعني يبعد أن يستجيب الله له، لكن مع ذلك ممكن أن الله يستجيب له ولهذا نحن نقرأ في القرآن الكريم أن أناسًا كفارًا يدعون الله، والله يستجيب دعاءهم وهم كفار.

فإذن أكل الحرام قد يمنع من استجابة الدعاء وعلى هذا ينبغي للمسلم أن يفتش دخله، ويفتش رزقه، ويفتش ماله، فيحرص غاية الحرص ألاَّ يُدخل إلى جيبه إلا رزقًا حلالًا قدر الإمكان.



الحديث الحادي عشر

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِجَالِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ". رواه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

"عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ": السبط يعني: ابن بنته، ويطلق الأسباط في القرآن الكريم على أولاد يعقوب، أولاد يعقوب يسمون الأسباط، لكن هنا المقصود به ابن البنت، ابن البنت يسمى سبطاً؛ لأنه ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

"ورِجَالُهُ" يعني: أن النبي ﷺ كان يحبه ويفرح به ويرتاح له، تشبيهاً له بالريحان لطيب رائحته.

قال: حفظت من رسول الله ﷺ: "دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ" الحسن لما مات رسول الله ﷺ كان صبيّاً صغيراً، لكن عنده تمييز، يحفظ ويفهم، ولهذا علّمه الرسول دعاء القنوت: "اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ" وحفظ من الرسول ﷺ أيضاً هذا: "دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ" هذا مثل: "فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ".

"دَعْ مَا يَرِيكَ" أو "ما يُرِيكَ" بضم الياء أو فتح الياء، كلها صحيحة.

"دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ" يعني: اترك الشيء الذي تشك فيه، هل هو حلال أو حرام، وتجاوز به إلى الشيء الحلال الذي لا شبهة ولا شك فيه، هنا تكون مطمئن القلب؛ لأن الشيء المشتبه حتى لو أفتاك بعض الناس، وأقدمت عليه وأنت تحس أنه حرام، أو أنه مشتبه، ستبقى في تأنيب ضمير، هذا إذا كان في القلب إيمان، فيبقى الضمير يؤنبك: لماذا أنا فعلت كذا؟ لماذا أنا فعلت كذا؟ تريد الراحة والطمأنينة؟ اترك الأمر المشتبه.

الحديث الثاني عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ" حديث حسن، رواه الترمذي وغيره هكذا.

"مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ" "من" تبعية، يعني: من الأشياء، من الخصال التي يحسن بها إسلام العبد "تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ" يعني: أن تترك الشيء الذي لا ينفعك في الدنيا منفعةً مباحة، ولا ينفعك في الآخرة، فهذا مما يحسن به الإسلام؛ لأنك إذا لم تترك الشيء الذي لا يعينك انشغلت به عما يعينك.

إذا لم تطبق ما دل عليه هذا الحديث فسوف تنشغل بالشيء الذي لا يعينك، يعني سوف تنشغل بالشيء الذي لا ينفعك لا في الدنيا ولا في الآخرة، أو بالشيء الذي يضرك في الدنيا وفي الآخرة، أو بالشيء الذي يضرك في إحدى هاتين الدارين.

وبعد ذلك الوقت الذي قضيته في هذا الشيء الذي لا يعينك، قضيت ساعة مثلاً في شيء لا يعينك، في الشيء الذي لا يفيدك، لو بذلت مليارات وأموال الدنيا كلها هل تستطيع أن تسترجع تلك الساعة التي ذهبت من العمر؟ لا يمكن، ما مضى فات، لا يرجع أبداً.

فإذا ملأته بالشيء الذي لا يعينك، لا ينفعك، ذهب ذلك الجزء الثمين من العمر الذي كان بالإمكان أن تستغله فيما يرفعك الله به الدرجات العلا في الجنة.

فهذا الحديث لو طبقه المسلم لوجد وقته معموراً بالخير، مليئاً بالبركات، لكن الذي يضيع علينا أوقاتنا ويذهب بها سدى هو انشغالنا بما لا يعيننا، انشغالنا بما لا يفيدنا، فضلاً عن انشغالنا بما يضرنا.

وأقرب مثال على هذا: انشغالنا بأجهزة التواصل التي جاءت الآن، كم تستهلك منا تطبيقات الواتس آب، وتويتر، والفيس بوك، وهذه الأشياء؟ لا أقصد في الاستخدام النافع المفيد، بل في استخدام لا تترتب عليه مصلحة لا دنيوية ولا دينية، ما أكثرها جدًّا، فضلاً عن استخدامها فيما يضر ويفسد الدين والأخلاق، ويفسد الفساد الخاص، ويفسد الفساد المتعدي، نسأل الله العافية.

فلنحرص أشد الحرص، وغاية الحرص، على أن نترك الأمور التي لا تعيننا، يعني مثلاً: الخوض في القضايا السياسية، أنت لست ولي أمر، ولا مستشاراً عند ولي الأمر، ولا تحل ولا تربط، ما دخلك؟ تقضي ساعات طويلة على هذه الأجهزة، أو في نقاشات مع زملائك في العمل، أو في طلعة، أو في كذا، ساعات طويلة في قضايا سياسية أنت ما لك فيها دخل، لا قليل ولا كثير.

من ضياع الوقت، وتزيين الشيطان لنا، يشغلنا بأمور لا نقدم فيها ولا نؤخر، ولا ننفع فيها ولا نضر، فلو قضينا هذا الوقت في شيء يفيدنا وينفعنا، تجارة نافعة، أو مباحثة علم، وهذا أسمى وأعظم، لكان فيه خيراً كثيراً في الدين وفي الدنيا.



الحديث الثالث عشر

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" رواه البخاري ومسلم.

"عن أبي حمزة أنس بن مالك" النجاري الأنصاري الصحابي الشهير، "خادم رسول الله ﷺ" خدمه عشر سنوات من يوم قدم الرسول المدينة حتى مات ﷺ.

وخدمته هذه الخدمة لرسول الله ﷺ ببركة أمه رضي الله عنها، أمه امرأة عاقلة، لما قدم الرسول المدينة كان الناس يهدون له هدايا، هي جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: "يا رسول الله، ما عندي شيء أهديك" امرأة فقيرة ما عندها شيء، "ولكن هذا ابني أنس يخدمك" قدمت له ولدها، وخدم الرسول ﷺ عشر سنوات، وكان نعم الخادم، صغير في السن لكنه عاقل ولهذا يقول: "خدمت الرسول عشر سنوات، ما قال لي شيء فعلته: لم فعلته؟ ولا شيء لم أفعله: لم لم تفعله؟" من جهة فيه بيان كرم أخلاق النبي ﷺ وتغاضيه، ومن جهة أيضًا يعطينا جانبًا من جوانب خدمة أنس لرسول الله ﷺ.

وهو صبي، أحيانًا يحصل منه ما يحصل من الصبيان، كان يريد أن يلعب مع الصبيان مرة، والرسول يريد أن يرسله في مهمة، ما يريد أن يتأخر عنها، فخرج أنس من عند النبي ﷺ ثم مر على الصبيان فيلعب معهم، فخرج إليه النبي ﷺ فوجده يلعب مع الصبيان، فقرصه قرصة خفيفة وقال: "امض، لما أرسلتك له".

فالشاهد أنه خدم النبي ﷺ عشر سنوات رضي الله عنه حتى مات النبي ﷺ وقد دعا له الرسول بالبركة في المال، وفي العمر، وفي الولد، فاستجاب الله دعاءه، فزُرق من الولد يمكن مائة ولد أو أكثر، في طاعون واحد، الطاعون الجارف، أولاده الذين من صلبه ماتوا في هذا الطاعون سبعون ولدًا، وبقي عنده ذرية وعُمُر أيضًا مائة سنة رضي الله عنه.

"لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ" يعني: الإيمان الكامل الواجب، "حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ" يعني: في الدين، ليس في النسب، بل لأخيه في الدين، فإذا كان عنده أخ مسلم تجتمع فيه الأخوتان: أخوة الدين، وأخوة النسب، لكن أخوه من النسب لكنه ليس بمسلم، ليس أخًا. "حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ" يعني: في الدين "مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" يعني: من الخير.

واحد نسأل الله العافية عنده مرض، يحب لنفسه الشر، هل نقول له: أحب للناس مثل ما تحب لنفسك؟ تحب لنفسك المرض، تحب لنفسك الفقر، تحب لنفسك كذا وكذا، إذن نقول له: تمنّ للناس مثل ما تحب لنفسك؟ ليس هذا المقصود، إنما المقصود: أن تحب لإخوانك ما تحب لنفسك من الخير الدنيوي والخير الأخروي.

وطبعًا هذا ما يكون إلا إذا كان القلب مليئًا بالحق والغل، صح أو لا؟ لا، ما يصل المسلم إلى هذه الرتبة السامية العالية إلا إذا كان قلبه نقيًا، ما فيه غل، ما فيه حقد، ما فيه كبر، ما فيه حسد، فلهذا هو يحب لإخوانه ما يحب لنفسه.

فهذا الحديث فيه أمر بأن تحب لإخوانك ما تحب لنفسك.

وأيضًا فيه أمر لك أن تخرج من قلبك كل الصفات الذميمة التي تحول بينك وبين الوصول لهذه الدرجة السامية العالية.



الحديث الرابع عشر

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمَفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ" رواه البخاري ومسلم.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثٍ"

"المسلم" يعني: الذي شهد الشهادتين، إذا شهد الشهادتين دمه حرام مثل ما تقدم. ومعنى قوله "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ" الدم هنا يعني: المقصود به القتل، ليس شرطاً أن المقصود ما يحل إراقة دمه وسفك دمه، المقصود قتله؛ لأن الشخص قد يقتل شخصاً وما تخرج منه قطرة دم، مثلاً لو قتله بالخنق أو سقاه سمّاً أو شيء، مات وما خرج منه دم، ليس معناه أنه حلال، إذن معنى قوله "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ" يعني: لا يحل قتله، سواء كان قتله بطريقة تهريق الدم، وهو الغالب، أو بطريقة لا يخرج بها دم، "دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ" لو امرأة مسلمة؟ نفس الحكم.

"إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثٍ" ثلاث جرائم إذا ارتكب واحدة منها حل دمه لولي الأمر، أقصد حل دمه لولي الأمر، يعني: حل لولي الأمر أن يعاقبه بالقتل على هذه الجرائم الثلاث وأقصد بذلك أن تطبيق الحدود على هؤلاء مرجعها إلى ولي الأمر، "تَعَاَفُوا الْهُدُودَ" يقول ﷺ "فَإِذَا بَلَغَتِ السُّلْطَانُ فَلَعَنَ اللَّهُ الشَّافِعَ وَالْمُشَفَّعَ" "بلغت السلطان" يعني: أن الحدود أمرها إلى السلطان.

"الثَّيِّبُ الزَّانِي" يعني: محصن زنى، والمحصن هو الذي جامع في نكاح صحيح، شخص عاقل بالغ تزوج نكاحاً صحيحاً، وجامع زوجته في هذا النكاح الصحيح، الآن صار محصناً، البكارة في حقه لم يعد بكراً والذكر يوصف بكونه بكراً، والأنثى توصف أيضاً بكونها بكراً، لكن كلُّ له الشيء الذي يناسبه من هذا الوصف.

فالمقصود أن الثيب هو الذي جامع في نكاح صحيح، ولو كان وقت الزنا ليس له زوجة، هذا الثيب، فمثلاً: جامع زوجته سنة أو سنتين وفارقها أو ماتت أو كذا، وجلس بدون زواج سنة أو سنتين أو عشرًا أو عشرين، ثم زنى، محصن أو بكر هذا؟ هذا محصن.

فإذا زنى استحق القتل بالصورة الشنيعة المعروفة وهي الرجم، فيرجم بالحجارة حتى يموت والرجم حكم شرعي، ما يخالف فيه إلا أهل الأهواء والبدع، حتى ليس كلهم، هم الذين ينكرون حكم الرجم، أما جمهور المسلمين وأهل السنة والجماعة فإنهم يقرون بهذا الحكم الشرعي، فإن النبي ﷺ رجم، وخلفاؤه الراشدون من بعده رجموا أيضاً، وكان الرجم آية في كتاب الله: "والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة". يقول عمر: "قرأناها ووعيناها ثم نسخت" وقد خشي عمر على الناس أن يأتي زمان ينكرون فيه الرجم، فوقع ما خشيته رضي الله عنه، فأقول: رجم النبي ﷺ في حياته جماعة، رجالاً ونساءً، مسلمين ويهوداً، كل هذا تطبيق لحكم الله جل وعلا.

"وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ" يعني: من قتل نفساً قُتِلَ بها إذا اجتمعت فيه شروط القصاص وانتفت الموانع، فليس كل من قتل نفساً يستحق شرعاً القتل بها، فهذا العموم غير مراد، لكن من قتل نفساً دل الدليل على أنه يقتل بها، فمثلاً:

○ مسلم حر قتل مسلماً حرّاً، يقتل به أو لا يقتل؟ يقتل به،

○ مسلم حر قتل مسلمة حرة؟ يقتل بها،

○ مسلم قتل كافراً؟ ما يقتل به.

ليس معناه أنه يجوز أن يقتل الكافر، ما يجوز أن يقتل الكافر إلا بحق وليس معناه أيضاً أنه ما يعاقب، يعاقب، لكن يعاقب عقوبة تعزيرية بما يرى ولي الأمر المناسب، حتى لو رأى قتله تعزيراً، قتله تعزيراً؛ لأن التعزير بابه واسع بما يراه ولي الأمر محققاً للمصلحة، فلو قلنا مثلاً: قتله تعزيراً، ليس لأنه نفس مكافئة نفس، لكن لأنه يرى المصلحة والسياسة الشرعية تقتضي قتله، فإذا اختلت الشروط هنا فلا يقتل القاتل، مثل لو كان القاتل الأب قتل ابنه ما يقتل به، لو قتل الحر العبد ما يقتل به، وهكذا.

"وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ" "التارك لدينه" يعني: المرتد، فإذا ارتد المسلم والعياذ بالله فإنه يدعى إلى الإسلام، فإن أبي أن يعود قتل، والذي يقتله ولي الأمر، الحدود كلها إلى ولي الأمر ويدل على هذا أيضاً الحديث الآخر في صحيح البخاري "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ" رُفِعَ جماعة من الزنادقة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ارتدوا، فأمر علي بتحريقهم فأحرقوا. فبلغ الخبر ابن عباس، فقال: لو كنت أنا ولي الأمر لم أكن لأحرقهم؛ لأن النبي ﷺ قال: "لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلَّا رَجُلًا"، ولكن كنت قاتلهم" يعني: بالسيف؛ "لقول النبي ﷺ "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ" يعني: بالسيف. فبلغ الكلام هذا علي بن أبي طالب فقال: "ويح ابن عباس"، نحن عندنا "ويح" نفهم أنها كلمة لوم وتوبيخ وكذا، لا، "ويح" هذه كلمة عند العرب للرفق والرحمة، مثل قول النبي ﷺ "وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ" يعني: كلمة شفقة، تعبير عن الشفقة والرحمة وهنا: "ويح ابن عباس" كلمة يراد بها المدح، تعبير عن المدح والإعجاب بفقهه وعلمه.

وأيضاً مثلما يوجد ناس يتهمون ويسخرون ويعارضون حد الرجم، في اليوم عندنا ناس أيضاً يتهمون ويسخرون وينفون حد الردة في الإسلام، يقولون: ما فيه حد الردة، الرسول ﷺ قال: "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ" فيقولون: هذا حكم سياسي، ليس حكماً شرعياً، هكذا يتجرؤون ويقولون، واحد ذهب وسوى برنامجاً في قناة من القنوات وعنده جمهور في القناة، ويسوي تصويتاً: من الذي يصوت على حد الردة، ومن الذي يصوت على إلغاء حد الردة، يعني تلاعب بدين الله، دين الله مبني على التصويت؟ يعني غداً نصوت: من الذي يصوت نصلي، ومن الذي يصوت نلغي الصلاة؟ نسأل الله العافية. هل يصلح هذا؟ ما يصلح. فهؤلاء قوم يتلاعبون بدين الله جل وعلا، والعياذ بالله، وإن انتسبوا للدعوة الإسلامية.

ومن أدلة حد الردة أن معاذ بن جبل رضي الله عنه زار أخاه أبا موسى الأشعري، وكان أميراً في منطقة في اليمن، وهذا في زمن النبي ﷺ إذا لم أكن واهماً، فالشاهد أن معاذ لما زار أبا موسى وجد عنده رجلاً، فسأل عنه: ما شأنه؟ قال: "هذا مسلم ثم قُود"، ارتد صار يهودياً، "فنحن نجاهده منذ ستة أشهر"، ستة أشهر نرغبه وندعوه أن يعود إلى الإسلام، فقال: لا أجلس حتى تضرب عنقه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ" والحديث في مسند أحمد، وحديث ابن عباس الأول في البخاري.

فهذه أحاديث صحيحة "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ"، أما قول الله عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فهذا في حق الكافر، ما هو في حق المرتد، يعني مثل ما سمعنا في الأحاديث أن الكافر يدعى إلى الإسلام، قَبِلَ الإسلام الحمد لله، ما قبل الإسلام تُطلب منه الجزية، ما نقول له: يا تسلم يا تُقتل، تسلم، فإن أبي فالجزية، أما مسلم خرج من الإسلام ويقول: والله الله يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، نقول: لا، الذي قال: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ هو الذي أوحى إلى نبيه ﷺ "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ".

الحديث الخامس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَلْيُتَّقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ
كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ". رواه البخاري ومسلم.

"مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُتَّقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" تؤمن بالله أنه خلقك،
وخلقك لماذا؟ لعبادته، وتؤمن باليوم الآخر وأن الله سوف يبعثك بعد الموت، ويجازيك
ويحاسبك على ما فعلت في هذه الحياة، إذن إيمانك بهذه الأمور العظيمة يحملك على أن
تقول خيرًا أو تصمت.

هذا اللسان وإن كان صغيرًا في الحجم؛ لكنه خطر جدًا وعظيم جدًا في الأثر، فقد
يرفعك الله به درجات عالية في الجنة، وقد يهوي بك في جهنم سبعين خريفًا، بكلمة تخرج
من هذا اللسان لا تلقي لها بالًا.

فإذا أردت أن تتكلم فالنبي ﷺ يقول لك: تأمل وانظر، إن كان كلامك الذي ستقوله فيه
خير تترتب عليه مصلحة في الدين أو في الدنيا فتكلم، وإن كان كلامك يترتب عليه ضرر في
الدين أو في الدنيا ماذا تفعل؟ تسكت، وإن كان الكلام الذي ستقوله ما تدري هل يترتب
عليه ضرر أو لا يترتب، خير أو شر، ما تدري، ماذا تفعل؟ اسكت؛

❖ لأنك إن تكلمت بالخير غنمت،

❖ وإن تكلمت بالشر غرمت وأثمت،

❖ وإن سكت سلمت، لا لك ولا عليك.

فإذن عامل لسانك بهذه المعاملة ترتاح وتسعد إن شاء الله في الدنيا وفي الآخرة، كلام
يترتب عليه خير تكلم، كلام يترتب عليه شر اسكت، كُف عنه، وانشغل بالشيء الذي
ينفعك، فقل خيرًا تغنم أو اصمت تسلم.

"وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ" بإحسان إليه، والإحسان إليه مفتوح
الباب فيه، إحسان بالمال، إحسان بالطعام، إحسان بالزيارة، إحسان بالمواساة، المهم بأي
صورة من صور الإحسان.

فإن لم يكن منك إحسان إليه فأقل درجات إكرامه ألا تؤذيه، هذا أقل شيء، يعني: إذا ما فيه خير تقدمه له فلا أقل من أن تكف أذاك عنه.

تري كفك أذاك عن المسلمين هذا من الصدقة، وكف الأذى من أسباب دخول الجنة. لو أنك جلست في بيتك وقلت: ما أريد أن أخرج، ما أريد أن أوذي أحدًا، بهذه النية، هذا من أسباب دخول الجنة، يقول ﷺ: **"خَمْسُ خِصَالٍ مَنْ فَعَلَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ"** يعني: دخول الجنة، ثم ذكر: **"وَرَجُلًا قَعَدَ فِي بَيْتِهِ، فَسَلِمَ النَّاسُ مِنْهُ وَسَلِمَ مِنَ النَّاسِ"**، هذه الخصلة رقم خمسة، أنا تركت الأربع اختصارًا.

"وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ" إكرام الضيف بحسن الاستقبال، والبشاشة، وتقديم الطعام والشراب المناسب الذي بدون تكلف، هذا كله من الكرم المحمود. وكرم الضيافة من سنن الأنبياء والمرسلين، وأول من ضيَّف الضيوف أبونا إبراهيم عليه السلام.

فإكرام الضيف من محاسن الأخلاق، ومكارم الأخلاق التي ينبغي العناية بها، لكن الحذر كل الحذر من المبالغات التي يراد بها الفخر والخيلاء، وتؤدي إلى الإسراف وكفران النعم وزوال النعم، أعاذنا الله وإياكم.

الحديث السادس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: **أوصني، قال: "لَا تَغْضَبْ"**
فردد مرارًا، قال: "لَا تَغْضَبْ" رواه البخاري.

أن رجلاً: قد يكون أبو الدرداء وقد يكون غيره، الله أعلم.

أوصني: يعني: وصية تنفعني.

"لَا تَغْضَبْ" فردد مرارًا: وفي رواية: ثلاث مرات، لكن ما أظنها في البخاري.

رددتها ثلاث مرات، **قال: "لَا تَغْضَبْ"** يعني: لماذا الرجل ردد مرارًا؟ كأنه يقول: أريد موعظة أبلغ من هذا، لكن النبي ﷺ لم يزد على هذه الوصية: **"لا تغضب"**، وهذه الوصية تجمع خيرًا كثيرًا؛ لأنك إذا لم تنتبه لهذه الوصية وتطبقها في حياتك ستندم كثيرًا. هذا الغضب جمرة، كما يقول النبي ﷺ: **"الْغَضَبُ جَمْرَةٌ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ، أَلَا تَرَوْنَ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ"** فهذه الجمرة، وهي من الشيطان، تدعوك إلى أشياء قبيحة وسيئة:

○ **أولاً:** الغضب يغير صورتك، يمكن أنت لو صورك وأنت غضبان تشوف صورتك بعد ذلك تنبشع منها، فالغضب يغير الصورة، كما أشار النبي ﷺ: **"أَلَا تَرَوْنَ حُمْرَةَ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ"**، فهو يقبح صورة الإنسان.

○ **الشيء الثاني:** يُمرض، بعض الناس من شدة الغضب قد يموت، وبعض الناس قد تأتيه جلطة من الغضب وشلل، وبعض الناس بعد الغضب تأتيه أمراض مزمنة، سكر أو غيره، فهو مُهلك ومُتلف للبدن.

○ **أيضًا الغضب** يدعوك ربما إلى القتل فتقتل، ويدعوك إلى العدوان فتعتدي، ويدعوك إلى الطلاق فتطلق، ويدعوك إلى تحطيم الأواني والأغراض والممتلكات فتحطّمها، إلى ثيابك فتمزّقها، إلى جسدك فتؤذيه.

ففيه أنواع كثيرة من الأذى والمخاطر على نفسك، وعلى دينك، وعلى مالك، وعلى أهلك، وعلى غيرك، مدعاة لشور كثيرة جدًا.

ولهذا لما قال لك النبي ﷺ: **"لا تَغْضَبْ"** سكر عليك هذه الأبواب التي تفتح لك هذه الشرور كلها، فهي وصية فيها خير كثير.

تجد بعض الناس إذا غضب يقول كلمة الكفر: يسب الله، يسب الرسول، يسب الدين، هذا موجود، ينطق كلمة الكفر بسبب الغضب والعياذ بالله.

فهذه وصية عظيمة ونحن نحتاج إليها كثيراً، ولا سيما في هذا الزمن الذي ضاقت فيه الأخلاق، وضاقت فيه الصدور، وكثرت فيه الحزازات.

ولهذا نسمع كثيراً عن فلان قتل فلان، لماذا؟ على أثر خصومة بينهم، على مشكلة بسيطة تافهة بينهم، السلاح موجود، والغضب موجود، وقوة الإيمان مفقودة، فتنج هذه الصور من العدوان المؤسفة والعياذ بالله.

فلنحرص على التحلي بالحلم، ومكارم الأخلاق، وسعة الصدر، والتغاضي عن الزلة، ومقابلة السيئة بالحسنة، هذه كلها تعالج موضوع الغضب بإذن الله.

وأيضاً تنفيذ ما أوصى به الرسول ﷺ في مواضع أخرى في الغضب، إذا غضبت وأنت واقف فاجلس، غضبت وأنت جالس فاضطجع، وإذا غضبت فاسكت لا تتكلم، هذا كله من الأسباب التي تعين على تجاوز مخاطر الغضب بإذن الله، وهو مما أرشد إليه النبي ﷺ، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم محاسن الأخلاق ومكارمها.

الحديث السابع عشر

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلِئِذَا أَحَدُكُمْ شَفَرْتَهُ، وَلِئِذَا ذَبَحْتَهُ." رواه مسلم.

عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" يعني: كتب الإحسان في كل شيء.
أولاً: عندنا الجملة الأولى تقرر حكماً شرعياً عاماً، أن الله كتب الإحسان على كل شيء، فمثلاً:

- أَمَرَكَ بِالْإِحْسَانِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، مِثْلَ مَا سَبَقَ مَعْنَا فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ: "الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ" إِلَى آخِرِهِ.
- وَأَمَرْتَ بِأَنْ تَحْسَنَ إِلَى وَالِدَيْكَ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].
- وَأَمَرْتَ أَنْ تَقُولَ حَسَنًا: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] "قولوا للناس" مسلم وكافر، قريب وبعيد.

فديننا دين الإحسان، إحسان إلى نفسك، إحسان في عبادتك لربك، إحسان إلى الخلق، إحسان إلى المسلم، إحسان إلى الكافر، الإحسان إلى الدابة والبهيمة، وهكذا، ديننا دين الإحسان.

وفي هذا الحديث التنبيه على شيء من هذا الإحسان، فبعدما قرر القاعدة العامة: "كتب الله الإحسان على كل شيء"، أعطانا بعض الأمثلة التي نعتني فيها بموضوع الإحسان، وهذه المواطن أو الأمثلة التي قد لا ينتبه الشخص إلى أن الإحسان مطلوب فيها.
"فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ" القتل إزهاق الروح، حتى وأنت تُزهِق الروح أنت مأمور بالإحسان.

فَإِذَا قَتَلْتُمْ يعني: قتلتم الكافر في الحرب أو قتلتم المسلم أثناء تنفيذ الحد؟ أو ماذا؟ الجميع، حتى وأنت تقتل الكافر في جهاد شرعي عليك أن تحسن القتل، تقتل مسلمًا يا ولي الأمر في تنفيذ حد من حدود الله، في قصاص، أيضًا تحسن في القتل.

ولهذا جاء في الحديث أن الرسول ﷺ لما كان يوصي الصحابة وهو يودّعهم في الغزو يقول: **"لا تَمَثِّلُوا"** يعني: إذا قتلتم العدو فلا تمثلوا به، من التمثيل: فصل الرأس عن الجسد، ومن التمثيل: قطع بعض الأعضاء كالأذن أو الأنف، أو شق البطن وإخراج الأحشاء، هذا كله من التمثيل الممنوع.

حتى مع أعدى أعدائنا نحن منهيون عن هذا، ما كان من هدي النبي ﷺ في الجهاد أن يمثل بجثث العدو، أو يفصل الرؤوس عن الأجساد وتحمل إليه ونحو ذلك.

"فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ" يعني: القتلة المريحة التي تُسرّع في إزهاق الروح، بدون مقدمات فيها إيلام وتعذيب له حتى تخرج روحه، هذا ليس من الإحسان في شيء، فاضربه الضربة السريعة القاضية التي ترهق روحه بسرعة، ولا تجعله يتألم، ويتألم، ويتألم حتى يموت.

"فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ" هذا في الآدميين، كما قلنا: مسلم أو كافر.

"وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ" هذا في الدواب، في الحيوان، إذا ذبحت البهيمة فأحسن في ذبحها، حتى وإن كانت بهيمة، ليس هناك بهيمة رخصة لك في التمتع بتعذيبها وإيلاها، فاذبحها وأحسن في ذبحها.

"وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرْخِ ذَبِيحَتَهُ" يعني: هذا من الإحسان، أن تكون الشفرة، السكين، حادة جدًا وليس فقط حادة، بل تكون السكين حادة، وتُمرّ أنت على مكان الذبح يدك بسرعة وبقوة؛ لأن بعض الناس وإن كانت السكين حادة لكنه لا يحسن الذبح، فيؤلمها ويعذبها قبل إزهاق روحها.

"وَلْيُرْخِ ذَبِيحَتَهُ" بمعنى: أن يزهد روحها بسرعة.

وأيضًا لا يعذبها قبل الذبح، بعض الناس ترى يلوي يد الذبيحة، هذا غير مشروع، وفيه إيلام وليس له داعٍ ومن الإحسان إليها عند السعة: ألا تحد الشفرة أمامها، وألا تدبح

واحدة والأخرى تراها، هذا عند السعة، أما إذا ضاق الأمر عن ذلك فالأمر فيه سعة إن شاء الله.

النبي ﷺ نحر بيده الشريفة ثلاثة وستين رأساً من الإبل في مقام واحد في حجة الوداع، فعند الازدحام، وعند كثرة الشغل، فالأمر فيه سعة، لكن إذا كان فيه متسع فلا تذبح واحدة والثانية تراها .



الحديث الثامن عشر

عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا،
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ
بِحُلُقٍ حَسَنٍ" رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وفي بعض النسخ: حسن صحيح.

هل في بعض نسخ الأربعين النووية أو بعض نسخ الترمذي؟ بعض نسخ الترمذي.
هذا الحديث اشترك فيه صحابيَان اثنان: أبو ذر، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما.
"اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ" يعني: كنت وحدك أو كنت مع الناس، كنت في بلدك أو في بلد
غريب عليك، حيثما كنت، تحت أي سماء وفوق أي أرض، اتق الله وذلك بفعل أوامره
واجتناب نواهيه، هذه تقوى الله.

"اتَّقِ اللَّهَ" يعني: اتق عذاب الله، كيف تتقي عذاب الله؟ أن تفعل أوامره وتجتنب نواهيه،
هذا الذي يقيك من عذاب الله.

"وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا" لما أمرك بالتقوى أمرك بإتباع السيئة الحسنة، لماذا؟ لأنك
مهما اتقيت فلا بد أن تقع في السيئة، قال ﷺ: "كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ
التَّوَّابُونَ" فلا بد أن يقع الخلل، لا بد أن تقع الزلة، فإذا وقعت الزلة فالله واسع المغفرة، واسع
العطاء، كريم حلیم، فتح لنا بابًا تمحو به تلك السيئات.

"وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا" ما هي الحسنة التي تمحو السيئة؟ أعظم حسنة تمحو
السيئات: التوبة، والتوبة واجبة ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]
"توبوا" فعل أمر، وفعل الأمر يقتضي الوجوب، "فالتوبة تجب ما قبلها"، أو الضبط الأصح
"تجب" بكسر الجيم.

مهما كان الذنب عظيمًا، وتبت إلى الله توبة نصوحًا صادقة، محمداً الله عز وجل عنك تلك
المعصية، بشروط التوبة: ندم، وإقلاع، وعزم على عدم العودة، وإن كان الجرم يتعلق بحق
آدمي ترد إليه المظلمة التي أخذتها منه، أو تطلب منه السماح والعفو، هذه شروط التوبة

الأربعة، فأعظم حسنة تمحو بها السيئات التوبة إلى الله، يكفر الله بها الكبائر، ويكفر الله بها الصغائر.

ومن الحسنات التي تمحو السيئات: **أي عمل صالح**، أي عمل صالح يكفر الله عز وجل به ما كتب الله من السيئات، فمثلاً: **الوضوء** إذا غسلت يديك خرجت خطايا يديك، غسلت الوجه خرجت خطايا الوجه، مسحت رأسك خرجت خطايا الرأس، غسلت رجلك غفر الله لك خطايا رجلك، **الصلاة كفارة، والخطوات إلى المسجد كفارة، وصوم رمضان كفارة، والعمرة كفارة، والحج كفارة، وهكذا، فهذه الحسنات كفارات بإذن الله.**

ولكن هناك سيئات لا تمحوها هذه الحسنات، لا تمحوها إلا التوبة، وهي كبائر الذنوب قال ﷺ: **"الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتَنِبَتِ الْكَبَائِرُ".**

فعلى المسلم أن يحرص على الحسنات الماحيات للذنوب، التوبة إلى الله عز وجل، والاستكثار من الطاعات.

فإذا عملت السيئة فلا تُتبعها بسيئة، بل أتبعها بحسنة؛ حتى يمحو الله عنك سيئاتك، ويرفع الله درجاتك، ويضاعف لك الحسنات.

"وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ" لما أمرك بحق الله عز وجل أمرك بحق الخلق:

- فحق الله عليك أن تتقيه،
- وحق الخلق عليك أن تحسن في معاشرتهم، وتحسن في معاملتهم.

ومخالقة الناس بخلق حسن هو جزء من تقوى الله؛ لأن الله أمرك أن تحسن الخلق، وقلنا: التقوى هي فعل الأوامر، إذن من جملة الأوامر التي تفعلها الإحسان إلى الخلق **"وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"**، لكن يقول العلماء: جاء النص عليه؛ لأن الكثير من الناس يتصور ويتخيل أن التقوى المطلوبة هي أداء الحقوق التي بينه وبين الله، ويفرط ويهمل في الحقوق التي بينه وبين الناس، مع أنها جزء من تعبدك لله عز وجل.

وتذكرون قصة المرأة التي شُكي حالها إلى النبي ﷺ، تصوم النهار، وتقوم الليل، ولكنها تؤذي جيرانها، قال: **"هِيَ فِي النَّارِ"** تصوم وتقوم وهي في النار، صحيح أنها جاءت بشيء من حق الله، لكنها ضيعت الحق الذي للناس عليها، ضيعت حقوق الجار.

تقوى الله عز وجل شاملة، تؤدي حق الله عليك، وتؤدي حق المخلوق عليك، هذا الكمال المطلوب.

الخلق الحسن باب واسع جداً، لكن من الخلق الحسن كما يقول بعض السلف: كف الأذى، وبذل الندي، وتلقى الناس بوجه طلق، هذه من مكارم الأخلاق المطلوبة:

- أن تلقى الناس بوجه طلق،
- وأن تبذل يدك بالمعروف والإحسان قدر الجهد،
- وأن تكف أذاك عنهم.

الحديث التاسع عشر

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: "يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ، أَحْفَظِ اللَّهُ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ" رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح - وفي رواية - غير الترمذي: "احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا".

"كنت خلف النبي ﷺ": كان رديفه على حمار، وهذا يدل على جواز الإرداف على الدابة؛ إذا كانت الدابة تطيق ركوب اثنين عليها، أما إذا كانت لا تطيق لضعفها فلا.

فقال: "يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ" هذا من حسن تعليم النبي ﷺ، ما قال له مباشرة: "احفظ الله يحفظك"، بل مهّد له بتمهيد، قال له: "يا غلام، إِنِّي أَعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ" بالتنوين: "كَلِمَاتٍ"، وهذا التنوين للتفخيم، وتعظيم شأن هذه الكلمات لعظم نفعها، يعني: أرعها سمعك، وافتح لها قلبك، واحفظها واعتن بها.

"احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظُكَ" يعني: احفظ حدود الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، فاحفظ الله مثل ما جاء في الحديث السابق: "اتق الله"، "احفظ الله" يعني: اتق الله.

"يَحْفَظُكَ" يعني: يحفظك في الدين؟ أو في الدنيا؟ أو في المال؟ أو في الأهل؟ أو في ماذا يحفظك؟ فيها كلها، وهذه فائدة حذف المعمول، هذه فائدة الحذف هنا، أفاد الحذف العموم:

- فلو قال: "احفظ الله يحفظك في دينك" قلنا: الحفظ هنا في الدين فقط.
- ولو قال: "احفظ الله يحفظك في مالك" قلنا: الحفظ في المال.

لكن حذف المحفوظ فأفاد العموم، فأعطانا خيراً كثيراً.

"أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ" يعني: أمامك، حيثما تحتاجه تجده قريباً منك سبحانه وتعالى.

"إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ" يعني: لا تسأل المخلوق، "إِذَا سَأَلْتَ" يعني: إذا أردت أن تسأل، فلا تلتفت للمخلوق ولا تسأل المخلوق، فاسأل ربك، وعلق قلبك بالله جل وعلا وهذه أكمل الحالات: ألا تسأل أحداً إلا الله.

لكن هناك حالة جائزة: أن تسأل المخلوق الحي الحاضر الذي يقدر عليه، هذا جائز، لكن الأحسن أنك لا تسأل أحداً.

ولهذا نجد في ترجمة بعض الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ ألا يسألوا الناس شيئاً، أن الواحد يكون على ظهر البعير ويسقط سوطه، فينزل يأخذ السوط ويرجع، ما يجب أن يسأل الناس شيئاً.

ونقرأ في تراجم بعض أهل العلم أنه كان يتولى أمور نفسه بنفسه، لا يطلب من أهله أن يصنعوا له شايًا ولا قهوة ولا شيئاً، هو بنفسه يتولى هذه الأمور، حرصاً منهم على هذا الحديث: "إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ"، والحديث الآخر: "لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا" لو واحد سأل المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الخالق، ماذا يصير هذا؟ هذا شرك أكبر مخرج من الملة.

أو سأل المخلوق كما يسأل الله، المخلوق بعيد عنه، هو في بلد وذاك في بلد، ويناديه كما ينادي الله، هذا شرك؛ لأنه اعتقد أن هذا الشخص فيه صفات الله جل وعلا، يعلم الغيب، ويسمع، ويتصرف في الكون، ويوصل النفع بدون سبب مباشر، فعامله معاملة الله جل وعلا. فإذا سأل غير الله قد يكون مباحاً، وقد يكون شركاً أكبر مخرجاً من الملة، كل حالة لها حكمها المناسب.

"وَإِذَا اسْتَعْنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ" يعني: فوّض أمورك إلى الله، واعتمد على الله مع فعل الأسباب المباحة والمشروعة، فالاستعانة ليس معناها ترك الأسباب، افعل الأسباب الشرعية، وافعل الأسباب المباحة، ولكن كن مفوضاً أمرك لله، ومعتماً على الله.

"لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ" الأمة يعني: الخلق، إنسهم وجنهم، كلهم "لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك"، وما كتبه الله لك فلا بد أن يصل إليك.

"وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ" فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، هذا فيه إثبات القدر.

"رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ" كناية عن القضاء السابق، والقدر السابق الذي لا يتغير. "رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح".

وفي رواية غير الترمذي: "احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ"

"تعرف إلى الله في الرخاء" يعني: بفعل طاعاته، واجتناب نواهيه، والإكثار من ذكره، إذا وقعت بك الشدة، ونزل بك الكرب، ودعوت الله أجابك، لكن لو كنت مضيعةً مفرطاً في الرخاء، ونزلت بك كربة، ودعوت الله في الكربة، قد يستجيب لك، وقد لا يستجيب. وتذكرون في القرآن الكريم قصة رجلين اثنين تعرضا لموقف متشابه نوعاً ما، هذا تعرض للغرق، وهذا تعرض للغرق، هذا دعا الله في هذه الحالة فنجاه الله، وذاك دعا الله في تلك الحالة والتجأ ولم ينج.

ثم ذكرهم الله جميعاً، هذا الذي غرق وأهلكه الله بالغرق وبخه الله،

● ففرعون وقت الغرق قال: آمنت، في تلك اللحظة آمنت، الله وبخه، قال: ﴿الْآنَ وَقَدْ

عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] ما نفعه الإيمان والذكر في تلك اللحظة.

● وأما ذو النون يونس بن متى، لما التقمه الحوت ونادى ربه نجاه الله، وبين سبحانه أنه

نجاه؛ لأنه كان في أيام الرخاء من المسبحين: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ يعني:

في الرخاء ﴿لَلْبَثِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

هذا مثال على الذي تضمنه هذا الحديث.

"وَأَعْلَمَ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَعْلَمَ أَنَّ

النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا".

هذه كلها بشائر تفتح باب الأمل والرجاء، ما ييأس المسلم، وما يقنط من رحمة الله، ولا من نصره، ولا من فرجه، ولا من تيسيره، كلما اشتد الكرب أبشر إن شاء الله بقرب الفرج.

الحديث العشرون

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُمَيْدٍ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ التُّبُّوَةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ" رواه البخاري.

هذا حديث عظيم وجليل، وفيه التنويه بخصلة عظيمة جدًا، وهي خصلة الحياء وهي صفة تمنع عن القبائح، وتدفع إلى التزام ما يليق وما يحمل وينبغي فعله أو قوله، وهو الحياء. فإذا نُزِعَ الحياء من القلب والعياذ بالله انغمست هذه النفس في القبائح والرذائل، وارتكاب ما لا يليق، وترك فعل ما يجب.

قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ التُّبُّوَةِ الْأُولَى" يعني: مما توارثه الناس جيلاً بعد جيل، وأمة بعد أمة، من حكم وشرائع الأنبياء السابقين، مما بقي عندهم لم يتحرف ولم يتغير، هذه الحكمة العظيمة: "إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ" فهذا فيه تهديد وتوبيخ على ترك الحياء، يعني: إذا لم تستح فاصنع ما شئت، وإذا صنعت ما شئت فسوف تعاقب، وتعدَّب، وتحاسب؛ لأن الذي يردعك عما لا يليق هو الحياء، فإذا ما بقي حياء انفلتت النفس.

عندك مثلاً دابة هائجة وجئت وقيدتها، هذا القيد يردعها ويمنعها عن العدوان، لكن إذا فككت القيد انطلقت تنطح هذا، وتكسر هذا، وتدبر هذا، وتؤذي هذا. فهكذا الحياء قيد، يقيد الإنسان، يقيد الشهوة التي في الإنسان، شهوة الجنس، أو شهوة الغضب، أو شهوة المال، أو كذا وكذا، يقيد هذه الشهوة عما لا يليق، فإذا انفك هذا القيد انطلقت هذه النفس السيئة.

الحديث الحادي والعشرون

عَنْ أَبِي عَمْرٍو وَقِيلَ: أَبِي عَمْرَةَ سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: "قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ" رواه مسلم.

لاحظوا كيف حرص الصحابة على الخير، يعني: هم يعرفون أن الرسول ﷺ مستجاب الدعوة، وله المنزلة العظيمة عند الله جل وعلا.

هل تجدون حديثًا واحدًا لصحابي يقول: يا رسول الله ادع الله أن يجعل بيتي مليئًا بالذهب والفضة؟ لا تجد في السنة النبوية صحابيًا يطلب من الرسول ﷺ أن يدعو له بالدنيا، أموال وكذا، كانوا يطلبون من الرسول ﷺ أن يدعو لهم بالثواب الآجل، منهم من يقول: "أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ"، يسألون في أمر دينهم، وهذا يدل على كمال العلم.

يعرفون أن هذه الدنيا مهما بلغت في يد الإنسان فهي دنيا زائلة، لكن الباقي الذي لا ينفد ولا ينتهي هو الآخرة، فلهذا حرصوا عليها رضي الله عنهم.

فهذا يسأل النبي ﷺ، يقول: "قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا" يعني: علمني علمًا في الإسلام، "لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ" ما أحتاج إلى أحد غيرك، وصية جامعة مانعة.

قال: "قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ"

○ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا

بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]

○ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ

الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣-١٤]

فالإيمان والاستقامة فيهما الخير كله، تؤمن وتستقيم بمعنى: تقوم بما يوجبه ويفرض عليك الإيمان بالله.

● الإيمان يفرض عليك التوحيد، أن توحّد الله.

- والإيمان يفرض عليك الصلوات الخمس، فتصلي الصلوات الخمس.
- والإيمان يفرض عليك لزوم السنة واجتناب البدعة وهكذا.

تستقيم على ما يفرضه عليك إيمانك بالله، وتستقيم على ما شرعه الله لك في الكتاب وفي السنة، فإذا فعلت ذلك فقد حصل الخير، فهو الآن أعطاه الوصية الجامعة، لكن التفاصيل، هل هذه الجملة تكفيه عنها؟ لا.

مثل سورة العصر، والشافعي يقول: "لو تدبر الناس هذه السورة لَوَسَّعَتْهُمْ" لوسعتهم من ناحية الوصية الإجمالية، لكن تفاصيل الإيمان، وتفاصيل العمل الصالح، وتفاصيل الدعوة، وتفاصيل الصبر، هذه تحتاج إلى أدلة أخرى.

فالجنة في الإيمان وفي الاستقامة، لكن ما الإيمان؟ وما الاستقامة؟ وما تفاصيل الإيمان؟ وما تفاصيل الاستقامة؟ هذه يرجع فيها إلى الأدلة الأخرى.



الحديث الثاني والعشرون

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَخْلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟" قَالَ: "نَعَمْ" رواه مسلم.

ومعنى "حرمت الحرام": اجتنبت، ومعنى "أخللت الحلال": فعلته معتقدًا حِلَّهُ.

"عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ: هذا السَّلْمِي، بفتحتين، نسبة إلى بني سَلَمَةَ، أحد مشاهير الصحابة، وأحد المكثرين من الصحابة، والمكثرون: الذين رواياتهم تفوق الألف، تزيد على ألف حديث.

أَنْ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: "رَجُلًا" هذا مبهم، يعني: لم يعين اسمه، إذا قيل: رجل، أو امرأة، أو أعرابي، أو نحو ذلك، فهذا يسمى مبهمًا.

الإبهام في نفس المتن لا يؤثر في صحة الحديث، وإنما يؤثر لو كان في الإسناد، فلو وجدنا في الإسناد: "عن رجل" يكون هذا ضعفًا في الإسناد، وهذا الرجل جاء مسمى عند مسلم أيضًا، واسمه النُّعْمَانُ بْنُ قَوْقَلٍ.

فَقَالَ: "أَرَأَيْتَ" يعني: أخبرني، هذا معنى "أَرَأَيْتَ"، أَرَأَيْتَ إذا كان كذا، يعني: أخبرني إذا كان كذا.

"أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ" يعني: الصلوات الخمس المفروضة.

"وَصُمْتُ رَمَضَانَ" الشهر المفروض صومه.

"وَأَخْلَلْتُ الْحَلَالَ" يعني: فعلت ما أحل الله لي.

"وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ" يعني: اجتنبت ما حرمه الله عليّ.

وَكُنَ السُّؤَالُ: إذا اقتصر على المكتوبات، إذا اقتصر على الفرائض، إذا اقتصر على الواجبات ولم يأت بالنوافل والمستحبات، وأيضًا لم يرتكب المحرمات بترك واجب أو فعل حرام.

"وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا" يعني: من النوافل والتطوعات.

"أَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟" هل أدخل الجنة؟ يعني: بدون سابق عذاب، كما هو الحال في شأن أصحاب الكبائر الذين إذا شاء الله ذلك يدخلون النار أولاً ثم يخرجون منها إلى الجنة، فسؤاله هنا: هل أدخل الجنة بدون سابق عذاب؟

قال النبي ﷺ: "نَعَمْ" والسؤال معاد في الجواب، يعني: نعم تدخل الجنة. فهذا السؤال ترتب عليه علم، وهو أن الذي يقتصر على فعل الواجبات وترك المحرمات أنه يدخل الجنة بذلك، بمعنى: أنه لا يعذب على ترك النوافل. وكأن هذا الرجل كان حديث عهد بالإسلام والدخول فيه، فلم يطالبه النبي ﷺ بنوافل الطاعات كما وصى بذلك كثيراً من أصحابه.

وصى أبا هريرة أن يوتر قبل أن ينام، وأن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وهكذا يوصي الصحابة بكثير من الأعمال التطوعية، فهذا لم يوصه بذلك، وكأن ذلك - والله أعلم - مراعاة لقرب دخوله في الإسلام؛ حتى لا يكون ذلك منقراً له.

ثم هذا الرجل إذا انشرح صدره للإسلام، واطمأن قلبه إليه، وحافظ على هذه الواجبات وترك المحرمات، فإن الغالب أنه سيطمع في الازدياد من الخير، وسيكثر من النوافل والمستحبات، فهذا والله أعلم هو الذي يوضح مخرج هذا الحديث.

ليس المقصود من هذا الحديث أن النبي ﷺ يهون من شأن النوافل والتطوعات، وإنما مراعاة لحال هذا الرجل، والله عز وجل قد أخبر في كتابه وقسم الناس أقساماً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢] وسمى هؤلاء كلهم من المصطفين: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] وليسوا على درجة واحدة:

- فالظالم لنفسه هو الذي يترك شيئاً من الواجب ويقع في شيء من الحرام.
- والمقتصد هو الذي يفعل الواجب ويترك الحرام.
- والسابق بالخيرات هو الذي أتى بالواجب، وأتى بالمستحب، وترك الحرام، وترك أيضاً المكروه والمشتبه.

الحديث الثالث والعشرون

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الطَّهُّورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو: فَبَائِعُ نَفْسِهِ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا" رواه مسلم.

"عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ: "الأشعري نسبة إلى قبيلة، إلى الأشعر بن أدد.

قال رسول الله ﷺ: "الطَّهُّورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ" يعني: الوضوء والغسل شطر الإيمان، والشطر يعني: النصف، "الطَّهُّورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ" يعني: نصف الإيمان وذلك أن الإيمان:

- منه ما جاء لتطهير الظاهر، مثل الوضوء والغسل، وما شرع لنا من تطهير وإزالة النجاسات، وإزالة الفضلات كقص الشارب، وقلم الأظفار، ونحو ذلك.
- ومنه ما جاء لتطهير الباطن، القلب، من العمل الصالح ونحو ذلك.

فمن هذه الناحية صار عندنا "الطهور شطر الإيمان" بمعنى أنه يتعلق بالجزء الظاهر، بتطهير الجزء الظاهر، وباقي الشرائع تتعلق بتطهير الباطن، يعني: القلب، قد يكون هذا المراد، وقد يكون غيره.

"الطَّهُّورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ" معنى ذلك أن هذا فيه ترغيب في الطهارة المستحبة، وتأكيد على الطهارة الواجبة، فيجب على المسلم إذا أراد أن يصلي وكان محدثاً أن يتوضأ، وإن كان عليه حدث أكبر يجب أن يغتسل، وأن يُسبغ الوضوء، وأن يسبغ الغسل، بمعنى: أن يُتمه. فلا يجوز أن يدع شيئاً من مواضع الوضوء، من أعضاء الوضوء، أن يجعله خالياً من مرور الماء عليه، بل يجب أن يُسبغ الوضوء، بمعنى: أن يُتم أعضاء الوضوء ويعمها بالماء، فلو ترك جزءاً لم يمسه الماء كان معرضاً للوعيد الشديد، كما قال ﷺ "وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ" فالرجل ينتبه إلى هذا، والمرأة كذلك تنتبه.

فالمراة قد يكون على أظفارها شيء يمنع وصول الماء من الزينة، أو قد يكون على الكف شيء من آثار العجين وغيره، فيكون طبقة تمنع وصول الماء إلى البشرة، فإذا توضأت أو اغتسلت لا يصل الماء إلى هذا الجرم، وبالتالي لا يكون هذا الوضوء صحيحاً، ولا الصلاة المبنية على هذا الوضوء صحيحة، فالوضوء والغسل هذا من الإيمان، ويجب أن يؤدي كما شرع الله.

"وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ" قول: "الحمد لله"، ومعنى الحمد: إثبات صفات الجلال والكمال لله، هذا معنى الحمد: الثناء على الله بصفات الجلال والكمال محبةً وتعظيماً.

"تَمْلَأُ الْمِيزَانَ" يعني: يملأ ثوابها الميزان والميزان معروف، آلة الوزن، الله عز وجل أخبر أن يوم القيامة فيه ميزان عظيم، وهذا الميزان توزن فيه ثلاثة أشياء، توزن فيه ثلاث موزونات:

- الأول: صحيفة العمل.
- الثاني: العمل نفسه، الصلاة، والصوم، والتسبيح، والتهليل، هذا نفسه يوضع في الميزان بكيفية يعلمها الله.
- الثالث: العامل نفسه.

هذا ما دل عليه مجموع الأحاديث والآيات الواردة في شأن الميزان وليس الميزان كناية عن العدل، بل هو ميزان حقيقي، له كفتان.

"وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ" التسبيح: التنزيه، فلما تسبح الله كأنك تقول: يا رب أنا أنزهك عن كل صفات النقص ولما تقول: الحمد لله، كأنك تقول: يا رب إني أثني عليك بصفات الجلال والكمال التي وصفت بها نفسك، ووصفك بها نبيك ﷺ.

ولهذا يكثر الجمع بين التسبيح والتحميد، فالتسبيح تنزيه الله عن صفات النقص، والحمد إثبات صفات الجلال والكمال لله.

"تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ" يعني: لكثرة ما فيهما من الثواب، ولكثرة ما رُتّب عليهما من الثواب.

وفي هذا حث للمسلم والمسلمة ألا يضيع أوقات فراغه هكذا، وألا يضيع لحظات عمره هكذا، فالدقيقة الواحدة كم مرة تستطيع أن تقول فيها: الحمد لله؟! وفي الدقيقة الواحدة كم

مرة تستطيع أن تقول: سبحان الله والحمد لله؟! فانظر إلى كثرة الأجور على هذا العمل اليسير الذي لا يكلفك شيئاً.

ثم تذكر أن كثيراً من الناس يأتون يوم القيامة وسيئاتهم أكثر من حسناتهم، نسأل الله ألا يجعلنا وإياكم منهم، مع كثرة الفرص وسهولتها ويسرها، التي يمكن بها للعبد أن يملأ صحيفة أعماله، ويملاً ميزانه بالحسنات.

"وَالصَّلَاةُ نُورٌ" يعني: نور في القلب، ونور في الوجه، ونور يوم القيامة:

□ فهي في الدنيا نور معنوي، وقد يكون لها شيء من الأثر المحسوس ومن آثارها السكينة والبهاء على وجه أهل التقوى والصلاح.

□ وأما في الآخرة فالنور حسي، كما أخبر النبي ﷺ في موضوع الوضوء: **"إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ"** فالوضوء يكون له نور محسوس يوم القيامة، في الوجه، وفي الأيدي، وفي الأرجل، وهكذا أيضاً على الصراط يضيء للمؤمن نور، ويتفاوت هذا النور على حسب الإيمان قوةً وضعفاً، فمنهم من نوره أمامه مثل الجبل، ومنهم من نوره لا يكاد يضيء إلا موضع إبهام رجله، فهذا نور محسوس، يبصر به المؤمن يوم القيامة طريقه على الصراط؛ حتى يعبره بسلام إلى الجنة بإذن الله.

"وَالصَّلَاةُ نُورٌ" يعني: حافظوا على الصلوات المكتوبة، واستكثروا من صلاة النافلة، كما قال ﷺ: **"الصَّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ"** كل وقت لك أن تصلي فيه إلا أوقات النهي فقط.

"وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ" يعني: دليل على صدق الإيمان، حينما تتصدق بمالك الذي تعبت فيه وتعلقت به نفسك، فتتبرع به للفقير والمسكين، وتبذله في وجوه الإحسان، ماذا تريد من وراء ذلك؟ تريد الأجر والثواب، هذا دليل على إيمانك بالغيب، وإيمانك وتصديقك بوعده الله جل وعلا، **فالصدقة برهان** يعني: دليل على صدق الإيمان.

"وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ" فالذي يصبر يجعل الله عز وجل هذا الصبر له ضياء يبصر به أيضاً طريقه، فيهديه إلى الحق وإلى الخير وذلك أن الصبر عون على الطاعات، وعون على ترك المنكرات، وعون على معرفة الحق.

- ومعرفة الحق تحتاج إلى تعلم، والتعلم يحتاج إلى صبر.
- والجنة تحتاج إلى فعل طاعات، والطاعات تحتاج إلى صبر.
- والنار طريقها الشهوات والمنكرات والمعاصي، وتركها يحتاج إلى صبر.

فالصبر ضياء أيضاً قريب من معنى البرهان، فالبرهان شعاع، والضياء شعاع، والنور شعاع أيضاً، فهي أدلة وبراهين على الإيمان ولكن قال: "وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ"، لأن الصبر فيه حرارة، وفيه ألم على ما تكابد، مثل نور الشمس، شعاع الشمس ضياء؛ لأن فيه حرارة والله جعل القمر نوراً، شعاعاً بلا حرارة، والشمس ضياءً، شعاعاً فيه حرارة ولهذا جعل الصبر ضياء هنا في الحديث؛ لما فيه من الألم والشدة.

"وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ" حجة لك، يُحاج عنك يوم القيامة؛ حتى تدخل الجنة، يحاج عنك، يقول: أظلمات نهاره، وأسهرته ليله وهذا إذا آمنت به وقمت بحقه.

"أَوْ عَلَيْكَ" حجة عليك، دليل عليك أنك تستحق العذاب والنار والعياذ بالله وذلك إذا جعلته وراءك ظهيراً، فهجرته، وضيعته، وتركت العمل بما فيه والعياذ بالله.

ولاحظ أنه ليس فيه خيار ثالث، ليس فيه إلا لا لك ولا عليك، فإن لم ينفعك القرآن ضرك والعياذ بالله، فينفعك إذا قمت به، وإذا لم تقم به ضرك وصار حجة عليك.

"كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو" في هذه الحياة ثم ماذا يفعل حينما يغدو؟ قال: "فَبَائِعُ نَفْسِهِ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُؤَبِّقُهَا" كما قال الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦] كل منا يسعى في هذه الحياة، ولكن السعي مختلف كما قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل: ٤] يعني مختلف، فواحد يسعى في فكاك نفسه من النار، وواحد يسعى في إهلاك نفسه في النار، "كل الناس يغدو" في هذه الحياة ويسير، "فبائع نفسه" واحد يبيع نفسه للجنة، وواحد يبيع نفسه للنار.

"فَمُعْتَقُهَا" مخلصها من النار بالإيمان والعمل الصالح.

_____ شرح الشيخ د. علي بن يحيى الحدادي _____

"أَوْ مُوبِقُهَا" يعني: مهلكها في النار بالكفر، أو بالنفاق، أو بالبدع، أو بالمعاصي، والعياذ بالله.

وهذا فيه الحث على حسن السعي، وعلى الاستقامة، وعلى الإيمان، وعلى العمل الصالح، وعلى ترك ومجانبة ما يسخط الله تبارك وتعالى .



الحديث الرابع والعشرون

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرُوبِهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّوْنِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوفِيكُمْ بِهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هذا يسمى حديثاً قدسياً، إذا روى الصحابي عن النبي ﷺ من قوله أو فعله فهذا حديث مرفوع، وإذا روى الصحابي عن النبي ﷺ عن الله جل وعلا، فهذا حديث يسمى قدسياً، ويسمى حديثاً إلهياً، فالحديث القدسي لفظه ومعناه من الله جل وعلا؛ لكنه ليس بالقرآن، فهذا نوع آخر من أنواع الوحي.

"إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي" الله عز وجل لا مكره له ولا موجب عليه، هو يحرم على نفسه ما يشاء ويوجب على نفسه ما يشاء سبحانه وتعالى، فالله لا مكره له، وقد حرم على نفسه سبحانه الظلم، فلا يعاقب العبد بإساءة غيره، ولا يبخسه الأجر والثواب الذي تفضل الله عليه به جراء عمل صالح قام به ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]. فلا توضع عليه سيئات غيره، ولا يُبخس من أجر عمله وحسناته، فالظلم في اللغة معناه وضع الشيء في غير موضعه.

"وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا" بين العباد، فلا يحل لمسلم أن يظلم مسلماً، ولا لمسلم أن يظلم كافراً، ولا لمسلم أن يظلم حتى حيواناً، هذا كله ممنوع، فالظلم حرام كله، لا يحل لأحد أن يظلم أحداً.

حتى المسلم لا يحل له أن يظلم الكافر، قال النبي ﷺ لمعاذ: **"إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ"**، ثم قال له في الأخير: **"وَأَتَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ"**، فكفرهم لا يبيح ظلمهم وحتى الحيوان البهيم لا يجوز ظلمه، كما في الحديث: **"دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هَرَّةٍ"**، فديننا دين العدل.

"يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهِدُونِي أَهْدِيَكُمْ" يعني: من ترك دون توفيق من الله له بالهداية فإنه سيضل بسبب قرينه، أو بسبب النفس الأمارة بالسوء، أو بسبب الهوى، أو بسبب رفاق السوء، فإذا ترك دون توفيق من الله جل وعلا ضل والعياذ بالله.

"كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ" يعني: إلا من علمته العلم الشرعي ووفقته للعمل به، هذا هو المهتدي، الموفق للعلم الشرعي ثم الموفق للعمل به، فإذا لم يكن هناك علم شرعي صحيح فلا هداية، وإذا وجد علم شرعي لكن لا يوجد عمل به فلا هداية، فالمهتدي من جمع بين العلم والعمل، وهذا هو الصراط المستقيم الذي أمرنا الله أن نسأله أن يهدينا إليه، العلم والعمل، **"فَاسْتَهِدُونِي"** اطلبوا مني العلم النافع، واطلبوا مني التوفيق للعمل الصالح.

"يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ" ينبه عباده سبحانه وتعالى على أنه هو الغني، وأن كل ما يصل إلى العباد من قليل أو كثير فهو منه سبحانه وتعالى.

"كُلُّكُمْ جَائِعٌ" لا يصله شيء من الطعام والشراب إلا ما أعطاه الله إياه، وما أذن الله له فيه، **"فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ"** فبعض الناس لكثرة توفر الأطعمة والأغذية والأرزاق يظن أن هذا أمر طبيعي وعادي، ولا يربط هذا بأن الله عز وجل هو الذي ساق هذه الأرزاق ويسرها. وفي الحقيقة لو أراد الله عز وجل أن يمنع عن الخلق كسرة الخبز ما وصلوا إليها، قال الله

تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قریش: ٣-٤]. فالمطعم هو الله سبحانه وتعالى ولهذا تجد بعض البلدان تكون غنية وعامرة الأسواق، تُجني إليها الثمرات من كل مكان، ثم يغير الله حالها، فيموت أهلها جوعاً، تجارها ومتوسطو الحال

فيها، ورجالها ونساءؤها، يموتون جوعاً، بلدة كاملة ربما يموت أهلها جوعاً؛ لا يجدون ما يأكلون، وهي التي كانت قبل شهر أو شهرين أو سنة تعيش في رغد من العيش.

رب قوم غَبَرُوا من عيشهم **** في نعيمٍ وسُرورٍ وغَدَقَ

سَكَتَ الدَّهْرُ زَمَانًا عَنْهُمْ **** ثم أبكاهم دَمًا حينَ نَطَقَ

وخير من هذا قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

فإذن الغنى من الله، والطعام من الله، والمال من الله، فإذا شكر العباد ربهم ثبت هذه النعم وزادها، وإذا كفروا نعمته سلبهم الله إياها ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

"يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكَسُونِي أَكْسُكُمْ" هذا مثل الجملة الأولى، فمثلما أن لباس الباطن الذي هو الشَّعْبَ من الله، فكذلك اللباس الظاهر الذي يستر ظاهر البدن أيضاً من الله جل وعلا.

فالذي يكسوك هو الله، والذي يغنيك هو الله، والذي يطعمك هو الله، والذي يسقيك هو الله جل وعلا.

"يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَعْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَعْفِرُ لَكُمْ" يعني: لمن تاب إلى الله منها، في حق الحي بدون استثناء وأما في حق الميت؛ فالله يغفر الذنوب كلها إلا الشرك، أو الذي لم يشأ أن يغفره ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. فمن مات قبل التوبة، إن مات على الشرك مات على ذنب لا يغفره الله، وإن مات على التوحيد ولكن عنده كبائر لم يتب إلى الله منها، فهذه الكبائر قد يغفرها الله له، وقد يعذبه بها ثم يخرج به إلى الجنة.

فإذن قوله: "وَأَنَا أَعْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا" هذا يختلف ويتفاوت:

- في حال الحي على إطلاقه، كل الذنوب، صغيرها وكبيرها، شرك أو غيره، إذا تاب إلى الله منها، فمن تاب تاب الله عليه.
- وأما في حق الميت فقد عرفناه.

"فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ" استغفروا من كل ذنب، فالله لا يتعاضمه ذنب وما من ذنب أعظم من الشرك، وإذا أسلم الكافر قبل الله إسلامه ومحا عنه كفره وما كان في كفره. "يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا صَرِيَّ فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي" فالله عز وجل هو الغني بذاته، وهو القوي سبحانه، لا يضره العباد بشيء، بل هو الذي ينفع ويضر سبحانه وتعالى، فلا تضره معصية العاصي، ولا كفر الكافر، ولا تنفعه طاعة الطائع. وقد نفى الله عز وجل أن يضره أحد من خلقه، ولكنه قد أثبت الأذى، كما قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: "يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أَصْرِفُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ" فقلوه: "يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ"، يعني: يتكلم ويسمعني الكلام الذي لا أحبه، هذا هو الأذى، أما إلحاق الضرر به عز وجل فلا، لا يضرونه.

"يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْ سَكَمَ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا" يعني: لو تخيلنا أن كل الإنس والجن، كلهم بدون استثناء، كانت قلوبهم مثل قلب أتقى رجل، محمد ﷺ، هل هذا يزيد في ملك الله شيئاً؟ الجواب: لا، لا ينفعون إلا أنفسهم.

"يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْ سَكَمَ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا" لو كان الخلق كلهم قلوبهم مثل قلب إبليس، أو مثل قلب فرعون مثلاً، فهذا لا يضر الله عز وجل شيئاً، ولا يُنْقِصُ ذلك من ملكه شيئاً؛ لأنه لا تنفعه طاعة الطائع، ولا تضره معصية العاصي، هو الغني بذاته سبحانه وتعالى.

"يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْ سَكَمَ وَجَنَّتُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ" هذا إخبار عن كمال غنى الله عز وجل، وسعة خزائنه، فخزائنه لا تنفذ، بل لا تنقص.

"فلو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد" في أرض واحدة، وسأل كل واحد مسأله مستقلاً ومستكثرًا، وأعطى الله عز وجل كل واحد منهم ما سأل، فالنتيجة: ما نقص ذلك مما عند الله شيئًا.

"إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرُ" المَخِيطُ يعني: الإبرة، اجلس على ساحل البحر وخذ إبرة واغمسها في البحر، ثم أخرج الإبرة، أنت أدخلت الإبرة ناشفة جافة، وأخرجتها وهي مبللة، هذا البلل أخذته من ماء البحر، فهل نقص هذا البلل شيئًا من البحر؟ ما نقص شيئًا.

ولو قال قائل: نقص البحر بمقدار البلل الذي على الإبرة، نقول: اللحظة التي أخرجت فيها الإبرة كم نهر صب في البحر؟ كم مطر نزل على البحر في تلك اللحظة؟ فما ينقص شيئًا وخزائن الله ملاء لا تنفذ؛ لأن الله عز وجل يملأ خزائنه إذا شاء بالكلام: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وكلامه لا ينفد سبحانه وتعالى، يتكلم بما شاء متى شاء جل وعلا.

"يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ" رواه مسلم يعني: العبارة التي ذكرناها قبل قليل فيها الإخبار عن سعة خزائن الله، وهذا معناه: اسألوا الله عز وجل واطلبوه.

فالله عز وجل خزائنه ملاء، لا تمل من الدعاء، وألح في الدعاء، واطلب ما تشاء مما أذن الله لك فيه أن تطلبه من خير الدنيا والآخرة، دون أن تعتدي.

ثم نبه الله عز وجل العباد بعدما أمرهم بسؤاله ودعائه ورجائه والطمع في جوده وسخائه، نبههم إلى ضرورة إحسان العمل في دار العمل، في هذه الدنيا، فأنت الآن في دار عمل، وغداً ستجازي على ما عملت في هذه الدنيا، والجزاء على ضوء عملك.

"يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ" يسجل عليك كل ما تقول، وكل ما تعمل يدوّن في صحيفة ثم يوم القيامة يوفي العباد جزاء تلك الأعمال، فهو في الدنيا قد يعجل له نعيمًا على عمل صالح، أو يعجل له عقوبة على عمل سيئ، لكن توفية الجزاء الكامل على الخير وعلى الشر يكون يوم القيامة ولهذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [الزمر: ١٠] فيعجل الله عز وجل ثواب بعض الحسنات في الدنيا، ويعجل

لمن شاء بعض العقوبات في الدنيا على العمل السيئ لكن التوفية الكاملة على الحسنات والسيئات تكون يوم القيامة؛ ولهذا قال: "ثُمَّ أُوفِّيَكُمْ إِيَّاهَا".

"فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا" يعني: في صحيفته، وبالتالي وجد ثوابًا ونعيمًا "فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ" ما قال: فليحمد نفسه، بل قال: "فليحمد الله"؛ لأن الذي علمك أن هذا خير هو الله، والذي وفقك لفعل هذا الخير هو الله، والذي تقبل منك هذا العمل هو الله، فالله هو المتفضل عليك.

"وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ" من وجد في صحيفته عملاً سيئاً، ثم وجد يوم القيامة عقوبة على عمله السيئ "فلا يلم إلا نفسه"، لا يلم القضاء والقدر، ولا يلم فلاناً وعلاناً، بل عليه أن يتوجه باللوم إلى نفسه؛ لأنه سعى فيما يضره بإرادته واختياره، والعياذ بالله، وهذا كما يقول أهل العلم: هذا أجل حديث لأهل الشام.

الحديث الخامس والعشرون

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أيضًا أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنبي ﷺ "يا رَسُولَ اللَّهِ: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: (أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ

"عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أيضًا أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ هؤلاء الناس جماعة من فقراء المهاجرين. قالوا للنبي ﷺ "يا رَسُولَ اللَّهِ: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ" يَعْنِي أَهْلُ الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ، الدُّثُرُ الْمَالُ الْكَثِيرُ.

"يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ" يَعْنِي هؤلاء الفقراء جاءوا يشتكون إلى النَّبِيِّ ﷺ شكوى عجيبة، ما هي؟ أَهْمُ وجدوا في أنفسهم شيئاً من الحزن، أَنَّ إخوانهم من الأغنياء يشاركونهم في العبادات البدنية، "يصلون مثل ما نصلي، ويصومون مثل ما نصوم" هذه أعمالٌ بدنية لا تحتاج إلى مال، لكن يزيدون علينا يتصدقون وليس عندنا ما نتصدق به، فما قالوا: "يا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنا أغنياء، اجعلنا تجاراً"، ما طلبوا هذه الأمور؛ حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْمَالُ هَذَا يريدون التوصل به إلى الخير، فدلهم النَّبِيُّ ﷺ على نوع من الصدقات قَدْ تكون أعظم نفعاً وأجرًا وثوابًا من الصدقة المالية.

"قَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ" يَعْنِي مَا تَتَصَدَّقُونَ بِهِ، فَتُؤْجِرُونَ عَلَيْهِ أَجْرَ الصَّدَقَةِ، تُؤْجِرُونَ عَلَيْهِ كَمَا يُؤْجِرُ صَاحِبُ الصَّدَقَةِ بِالْمَالِ عَلَى صَدَقَتِهِ.

"إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ" إِذَا قُلْتَ: "سبحان الله" هذه صدقةٌ تؤجر عليها مثل ما يؤجر المتصدق برياله، بدرهمه، بديناره.

"وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ" قول "الله أكبر" نفس المعنى.

"وَكُلِّ تَحْمِيدَ صَدَقَةٍ" قول "الحمد لله".

"وَكُلِّ تَهْلِيلَ صَدَقَةٍ" قول "لا إله إلا الله".

"وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ" يَعْنِي أَنْتَ الْآنَ انْظُرْ، وَاحِدٌ فَقِيرٌ أَعْطَيْتَهُ رِيَالاً هَذِهِ صَدَقَةٌ، هَذَا الْفَقِيرُ -مَثَلًا- وَجَدْتَهُ عَلَى مَعْصِيَةٍ فَأَنْكَرْتَ عَلَيْهِ وَعَلِمْتَهُ، مَعْرُوفٌ لَمْ يَقُمْ بِهِ، فَقَمْتَ وَأَمَرْتَهُ بِهِ، يَعْنِي -مَثَلًا- فَقِيرٌ جَالِسٌ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ تَصْلِي وَهُوَ لَا يَصْلِي، فَقُلْتَ لَهُ: "اتَّقِ اللَّهَ وَادْخُلْ وَصَلَ يَا عَبْدَ اللَّهِ"، دَخَلَ وَصَلِي، يَعْنِي وَاحِدٌ جَاءَ أَعْطَاهُ رِيَالاً، وَأَنْتَ دَعَوْتَهُ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّى، أَيُّهُمَا أَعْظَمُ نَفْعًا؟ أَيُّ صَدَقَةٍ أَعْظَمُ نَفْعًا؟ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِ بِالْمَالِ.

فَلَا تَظَنَّ أَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي الصَّدَقَةِ الْمَالِيَةِ، بَلْ فِيهِ صَدَقَاتٌ أَعْظَمُ ثَوَابًا وَأَعْظَمُ نَفْعًا مِنَ الصَّدَقَةِ الْمَالِيَةِ.

"وَفِي بُضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ" يَعْنِي حِينَمَا يَجَامِعُ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ صَدَقَةٌ، مَعَ أَنَّهُ أَتَى الْأَمْرَ بِدَافِعِ الْغَرِيزَةِ الْبَشَرِيَّةِ.

"قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهِ وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ" يَعْنِي جَمَاعَ الرَّجُلِ لَزَوْجَتِهِ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ؛ حَتَّى وَلَوْ لَمْ يَسْتَحْضِرْ أَنَّهُ -مَثَلًا- يَرِيدُ إِعْفَافَ زَوْجَتِهِ أَوْ إِعْفَافَ نَفْسِهِ، أَوْ طَلَبَ الْوَلَدَ الصَّالِحَ مِنْ جَرَاءِ هَذَا اللَّقَاءِ، لَوْ لَمْ يَسْتَحْضِرْ هَذَا كُلَّهُ فَإِنَّهُ يُؤْجَرُ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا لَوْ أَنَّهُ زَنَى أَثَمَ؛ فَكَذَلِكَ إِذَا أَتَى الْحَلَالَ كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، لَكِنَّهُ إِذَا اسْتَحْضَرَ تِلْكَ النِّيَّاتِ كَانَ أَجْرُهُ أَكْثَرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَهَذَا الْجُزْءُ مِنَ الْحَدِيثِ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى مَشْرُوعِيَةِ الْقِيَاسِ الصَّحِيحِ، فَهَذَا عِنْدَنَا قِيَاسٌ عَكْسٌ؛ إِذَا كَانَ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي الْحَرَامِ فِيهِ وَزْرٌ وَإِثْمٌ، فَوَضْعُهَا فِي الْحَلَالِ فِيهِ ثَوَابٌ وَأَجْرٌ.

الحديث السادس والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ" رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

"كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ" يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَكَّبَ خَلْقَكَ يَا ابْنَ آدَمَ عَلَى مفاصل، وجاء في صحيح مسلم أَنَّ هَذِهِ المفاصل فِي الإنسان عِددها ثلاث مئة وستون مفصلاً، فبسلامة هَذِهِ المفاصل تتم لك نعمة البدن، بها تقوم وتتحرك وتجلس وتمشي وتضطجع إلى آخره، ولهذا إِذَا صار هناك إعاقةٌ أو كسرٌ شَيْءٍ مِنْ هَذَا تعطلت مصالح أو بعض مصالح تلك المفاصل والفقرات وبالتالي عَوَّقَتْكَ عَنِ الحركة المطلوبة، فهذه المفاصل نعمة، وَأَنْتَ مطالبٌ بشكر الله عز وجل عليها، وَذَلِكَ بِأَنْ تتصدق عَنْ كُلِّ مفصلٍ بصدقة.

"كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ" وَهَذِهِ الصدقة يوميةً، ولهذا قَالَ: "كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ" يَعْنِي لكل يوم صدقته، فما تقول: "لا، أنا تصدقتُ عَنْ هَذِهِ المفاصل أمس"، اليوم عليك صدقة، وغداً عليك صدقة، وبعد غدٍ عليك صدقة إلى آخره ما دمتَ فِي هَذِهِ الحياة، ولهذا قَالَ: "كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ" يَعْنِي كُلَّ يومٍ بيومه؛ لِأَنَّهُ لو قَالَ: "كُلَّ يَوْمٍ" فقط، فَإِنَّ اليومَ قَدْ يطلق عَلَى مجموعةٍ مِنَ الأيام، ولهذا -مثلاً- فِي المعارك نسُمع أو نقرأ فِي كتب التاريخ والسير: "يوم بدر"، و"يوم أحد"، و"يوم بعاث"، يوم كذا ويوم كذا، هَذِهِ الأيام الَّتِي فِي المعارك قَدْ تستمر أصلاً ثلاثة أيام أو أربعة أيام أو خمسة أيام أو أكثر لكن كلها تسمى يوماً واحداً، يُطلق عليها كلمة يوم، فرفعاً لِهَذَا التوهم جاء قوله: "تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ" حَتَّى يفيد أَنَّ كُلَّ يومٍ له حكمه.

"تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ" يَعْنِي كَأَنَّ سَائلاً يَقُولُ: "يا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كيف نتصدق فِي اليوم بثلاث مئة وستين صدقة؟ مِنَ الَّذِي يجد كُلَّ يومٍ ثلاث مئة وستين درهماً؟ أو ثلاث مئة وستين ريالاً؟ أو ثلاث مئة وستين رغيفاً يتصدق بها؟" ففتح لنا النَّبِيُّ ﷺ باب الصدقات وَأَمَّا كثيرةٌ ومتنوعةٌ وميسورةٌ، مثل الحديث السابق فتح النَّبِيُّ ﷺ باب الصدقات، الصدقة

ليست محصورةً في المال، ليست محصورةً في الصدقة المالية، ولهذا قال: **"تَعْدِلُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ صَدَقَةً"**، عندك ولدين أعطيتَ هَذَا عشرة ريات تعطي الثاني عشرة ريات هَذَا عدل، بَلْ هُوَ عدلٌ واجبٌ، كما قال ﷺ: **"اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ"**، فتعدل بين اثنين سواء كنت أميراً، كنت قاضياً، كنت أستاذاً؛ حَتَّى لو كنت أباً أو زوجاً لك زوجتان، فيجب عليك العدل بينهما.

"وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا" إِذَا كَانَ عاجزاً عَنِ الركوب فتعينه؛ حَتَّى يركب على دابته أو على سيارته.

"أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةً" فَهُوَ ركب ولكن المتاع ما زال في الأرض، فتحمل له المتاع وتُسَلِّمه إياه؛ حَتَّى لا ينزل، ويتعنى النزول وأخذ المتاع مرة ثانية، فهذا فيه إحسانٌ إلى هذا الشخص.

"وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ" الكلمة الطيبة قد تكون السلام، قد تكون السؤال عن الحال، قد تكون الدلالة على الخير.

"وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ" وَهَذَا فِي حَقِّ مَنْ يذهب إلى المسجد مشياً، فَكُلَّمَا بُعِدَتْ الخُطَى إلى المسجد كلما كَانَ ذَلِكَ أكثر أجراً، وثبت عَنْ بعض الصَّحَابَةِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا مشى إلى المسجد يقارب بَيْنَ الخُطَى، زيد بن ثابت وغيره فعله، يقارب بَيْنَ الخُطَى؛ حَتَّى تكثر الخُطَى وبالتالي يكثر الأجر، أَمَّا الَّذِي يَأْتِي رَاكِباً فله إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَجْرٌ، لكن ليس مثل أجر الماشي.

"وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ" ترفع الأذى الَّذِي يضر النَّاسَ ويؤذي النَّاسَ، إِمَّا لكونه -مثلاً- يجرح كالزجاج والشوك أو كذا، أو لنتن رائحته كالنجاسات والأوساخ، أو قد يضر بالسيارات ويسبب حوادث في الطريق، كحجرةٍ ملقاة في الطريق أو كذا، المهم أَنَّ إماطة الأذى عَنِ الطريق صدقة؛ فلا تحرم نفسك هَذَا الخير، هَذَا ليس فقط يطالب به عامل النظافة أو البلدية؛ حَتَّى لو أَنْتَ أزلتَ شيئاً مِنْ هَذَا الأذى لك فِي ذَلِكَ أَجْرٌ، ولك فِي ذَلِكَ صدقة، وما تدري لعل هَذَا الكيس الَّذِي تزيله، أو الشوك الَّذِي تزيله، أو الزجاجاة الَّتِي تزيلها سببٌ لك فِي دخولك الْجَنَّةِ، النَّبِيُّ ﷺ أخبر أَنَّهُ رأى رجلاً فِي أَنهار الْجَنَّةِ، بماذا؟ بِغُصْنٍ شوكٍ أَزاله

عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَالَّذِي يَزِيلُ الْأَذَى الْحَسِيَّ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ الْحَسِيَّ لَهُ هَذَا الْأَجْرُ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَزِيلُ عَنِ النَّاسِ الْبَدْعَ وَالْمُنْكَرَاتِ فَيُنْكَرُهَا وَيُرَدُّ عَلَيْهَا وَيُرَدُّ عَلَى أَهْلِهَا؛ حَتَّى يَكُونَ الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ طَرِيقًا وَاضِحًا سَلِيمًا نَقِيًّا مِنَ الْبَدْعِ وَالْمُحْدَثَاتِ؟! لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا أَجْرُهُ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ.



الحديث السابع والعشرون

عَنْ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ" رواه مسلم.

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبُدٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟" قُلْتُ: نَعَمْ. وَقَالَ: "اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، الْبِرُّ مَا أَطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوَكَ" حَدِيثٌ حَسَنٌ رُوِيَ عَنْهُ فِي مُسْنَدَيْ الْإِمَامَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَالدَّارِمِيِّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

"عَنْ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ" وَأَيْضًا النَّوَاسُ بْنُ سَمْعَانَ، "عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

"البر" اسمٌ عامٌ يطلق على الدين كله، ويطلق على الخير، ويطلق على الطاعات إذا جُمع بين البر والتقوى، فيكون البر بمعنى فعل الأوامر، فعل الطاعات، ويكون التقوى اجتناب المناهي، أمّا إذا أُطلق البر وحده، أو أُطلقت التقوى وحدها فهذا يجمع الدين كله، يكون البر بمعنى الدين كله.

وَعَلَى هَذَا فَالْبِرُّ هُنَا مُطْلَقٌ مَا قُرْنُ بِالتَّقْوَى، فَيَكُونُ الْبِرُّ هُنَا مَعْنَاهُ الدِّينَ.

"الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ" يَعْنِي أَكْثَرَ الدِّينِ وَمِنْ أَهَمِّ أَجْزَاءِ الدِّينِ حَسَنُ الْخُلُقِ، وَحَسَنُ الْخُلُقِ أَيْضًا قَدْ يَطْلُقُ عَلَى كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَكِنْ قَدْ يَطْلُقُ حَسَنُ الْخُلُقِ وَيُرَادُ بِهِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّعَامُلِ مَعَ الْخُلُقِ، فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ، وَحَسَنُ الْخُلُقِ خَصَالُهُ كَثِيرَةٌ جَدًّا لَكِنْ:

- مِنْ جَوَامِعِ حَسَنِ الْخُلُقِ أَنْ تَعَامَلَ النَّاسُ بِمِثْلِ مَا تَحِبُّ أَنْ يَعَامَلُوكَ بِهِ،
- مِنْ جَوَامِعِ حَسَنِ الْخُلُقِ أَنْ تَحِبَّ لِأَخِيكَ مَا تَحِبُّ لِنَفْسِكَ.

- مِنْ جوامع حسن الخلق ما جاء في الحديث، وعبر عنه بعض أهل العلم ببعض الآيات المنظومة مِنْ قولهم مثلاً:

طَلَاقَةُ الْوَجْهِ وَكَفُّ الْأَذَى *** وَبَذْلُكَ الْمَعْرُوفِ حُسْنُ الْخُلُقِ**

فهذه الخصال الثلاثة يطلق أَيْضًا عليها ويُعرف بها حسن الخلق: طلاق الوجه، وبذل الندى أي بذل المعروف، وكف الأذى.

وَكَذَلِكَ أَيْضًا قَالَ بعض السَّلَفِ وَهُوَ ينصح ابنه يَقُولُ: "يا بني إِنَّ البرَّ شَيْءٌ هَيْنَ، وَجَهٌ طَلِيقٌ وكَلَامٌ لِينٌ".

"وَالِإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ" هَذَا فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يخاف الله جل وعلا، فَهُوَ الَّذِي يتحرز ويتحرج مِنَ الْأُمُورِ الْمُشْتَبِهَةِ، يَعْنِي عِنْدَنَا إِثْمٌ عَلَيْهِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ أَنَّهُ إِثْمٌ، الزنا حرام، شرب الخمر حرام، هَذَا لَا إِشْكَالَ فِيهِ، لَكِنْ أحيانًا هُنَاكَ أُمُورٌ تَشْتَبِهُ عَلَيْكَ، مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ النُّعْمَانِ: **"وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ"**، فَاَلْمُؤْمِنُ يَكُونُ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْمُشْتَبِهَةِ، فإِذْنِ مَا دَامَ أَنَّهُ فِي النَّفْسِ تَرَدُّدٌ فِي الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ هَذَا التَّرَدُّدُ نَاتِجًا عَنْ وَسْوسَةٍ وَلَا رَدٍّ لَدَلِيلٍ إِباحَةٍ صَرِيحٍ؛ فإِذْنِ اجْتَنَبَ هَذَا الشَّيْءَ الَّذِي يَتَرَدَّدُ فِي نَفْسِكَ أَنَّهُ لَيْسَ مَبَاحًا.

وَكَذَلِكَ أَيْضًا مِنْ عِلَامَاتِ الْإِثْمِ أَنَّكَ تَكْرَهُ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ؛ يَعْنِي خِيَارَ النَّاسِ الَّذِينَ يُسْتَحْيَ مِنْهُمْ، فَالشَّيْءُ الَّذِي تَخْفِيهِ عَنْهُمْ؛ فِي الْغَالِبِ أَنَّكَ لَا تَخْفِي عَنْهُمْ إِلَّا شَيْئًا سَيِّئًا، فَلِهَذَا تَوَارَيْتَ بِهِ عَنْهُمْ، أَمَّا الشَّخْصُ الَّذِي لَا يُسْتَحْيَى مِنْهُ؛ قَدْ تَجَاهَرَ بِهِ أَمَامَهُ، يَعْنِي مِثَالَ ذَلِكَ: التَّدْخِينِ، وَاحِدٌ تَجِدُهُ لَا يَدْخُنُ أَمَامَ أَبِيهِ أَبَدًا، أَوْ أَمَامَ أَسْتَاذِهِ أَوْ أَمَامَ شَخْصٍ يَجْلَهُ وَيُحْتَرِّمُهُ، لَكِنْ مَعَ أَصْدِقَائِهِ وَنَحْوِهِمْ يَدْخُنُ أَمَامَهُمْ وَمَعَهُمْ، فَهُوَ لِمَا ذَكَرَهُ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ خِيَارَ النَّاسِ أَوْ مَنْ يَسْتَحْيِي مِنْهُمْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا لَأَنَّ فِيهِ خِلَافًا، يَخَافُ أَنْ يَعْاقَبَ، أَنْ يُؤَبَّخَ، أَنْ يُلَامَ عَلَيْهِ.

"وَالِإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ" وَهَذَا كَمَا قُلْنَا فِي الْغَالِبِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الشَّيْءِ الَّذِي لَا دَلِيلَ وَاضِحٍ عَلَيْهِ، أَمَّا الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ يَكُونُ الْعَمَلُ بِالْدَّلِيلِ.

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟" هَذَا مِنْ مَعْجَزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ جَاءَ يُرِيدُ أَنْ يَسْأَلَ الرَّسُولَ، قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَ سَأْأَلَهُ يَقُولُ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟" قَالَ: "نَعَمْ"، مَنِ الَّذِي أَطْلَعَ نَبِيَهُ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ؟ الرَّسُولُ ﷺ لَا يَعْلَمُ مَا فِي الْأَنْفُسِ، الَّذِي يَعْلَمُ مَا فِي الْأَنْفُسِ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنْ اللَّهُ أَطْلَعَ نَبِيَهُ ﷺ عَلَى مَا فِي نَفْسِ وَابِصَةَ.

قُلْتُ: نَعَمْ، وَقَالَ: "اسْتَفْتِ قَلْبَكَ" لَيْسَ هَذَا مَعْنَاهُ تَرْكُ الرَّجُوعِ إِلَى أدلة الكتاب والسُّنَّةِ، لَيْسَ مَعْنَاهُ عَدَمُ الرَّجُوعِ إِلَى أَهْلِ الذِّكْرِ.

وَقَالَ: "اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، الْبِرُّ مَا أَطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ" وَذَلِكَ لَوْضُوحِ أدلته؛ أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ طَاعَةٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ.

"وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ" هَذِهِ الْمَسَائِلُ الَّتِي كَمَا قُلْنَا فِيهَا خَفَاءٌ، فِيهَا إِشْكَالٌ.

"وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ" مِثْلًا: جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْ مَعَامِلَةٍ تَتَعَلَّقُ بِالْبَنُوكِ، وَأَنْتَ لَا تَدْرِي هَذِهِ الْمَعَامِلَةُ فِيهَا رَبٌّ أَوْ لَيْسَ فِيهَا رَبٌّ، فِيهَا تَحَايِلٌ أَوْ لَيْسَ فِيهَا تَحَايِلٌ، وَجِئْتَ وَسَأَلْتَ الشَّيْخَ، الشَّيْخُ سَمِعَ مِنْكَ السَّوْأَلَ، فَقَالَ لَكَ: "حَالِلٌ"، بِنَاءً عَلَى مَا سَمِعَ، بِنَاءً عَلَى السَّوْأَلِ الَّذِي طُرِحَ عَلَيْهِ، لَكِنْ أَنْتَ رُبَّمَا عِنْدَكَ طَرَفٌ عِلْمٌ بِأَنَّ الْبَنُوكَ هَذَا يَقُولُ إِنَّ الْعَمَلِيَّةَ بِهَذَا الشَّكْلِ، لَكِنْهُمْ فِي الْبَاطِنِ لَا يَنْفِذُونَ مَا أَعْلَنُوهُ، إِنَّمَا يَدْخُلُونَ فِي أُمُورٍ فِيهَا تَحَايِلٌ، فِيهَا كِذَابٌ، فِيهَا كِذَابٌ، فَيَبْقَى فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَخَافُ مِنَ الْحَرَامِ شَيْءٌ، أَمَّا الَّذِي لَا يَبَالِي فَهَذَا لَيْسَ عِنْدَهُ مَشْكَلَةٌ؛ حَتَّى لَوْ أَكَلَ الرَّبُّ الصَّرِيحَ.

فَهَذَا الْمَفْتِي قَالَ لَهُ إِنَّهُ يُجُوزُ، لَكِنْ أَنْتَ عِنْدَكَ مَعْلُومَةٌ جَعَلْتِكَ تَتَرَدَّدُ فِي هَذِهِ الْفَتْوَى، أَنَّ هَذِهِ عَادَةُ هَذَا الْبَنُوكِ أَنَّهُ يَتَحَايَلُ وَيَتَلَاعَبُ عَلَى الْمَعَامِلَاتِ الْحَرَمَةِ، وَإِنْ كَانَ يَظْهَرُهَا فِي صُورَةٍ مُبَاحَةٍ، فَتَخْشَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَعَامِلَةُ مِنْ ضَمَنِ تِلْكَ الْمَعَامِلَاتِ الَّتِي يَدْخُلُهَا التَّحَايِلُ وَالرَّبَا. فَهَذَا النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: "مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ"، لِمَاذَا قُلْنَا: بِشَرَطٍ أَلَّا يَكُونَ مِنْ أُمُورِ الْوَسْوَاسِ، أَوْ التَّعَنُّتِ وَالتَّشَدُّدِ؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ فَتَوِيهِ بِفَتْوَى فِيهَا رَخِصَةٌ، الشَّرْعُ رَخِصٌ فِيهَا، وَمَعَ ذَلِكَ يَكُونُ فِي نَفْسِهِ مِنْهَا شَيْءٌ.

مثلاً واحد جاء مسافراً من الرياض جاء هنا يجلس يوماً أو يومين، وجاء وسأل: "هل يجوز أن أقصر أم لا يجوز أن أقصر؟" كم المسافة؟ قال: "ألف كيلو"، كم تجلس؟ قال: "نصف يوم"، قلتُ له: "يجوز أن تقصر"، عندما ذهب وصلى لم يقصر، لا يريد أن يقصر، لماذا؟ هنا هذا يكون من باب التشديد على النفس، من باب التنطع من باب التكلف، فلا يدخل في هذا الحديث: **"الإثم ما حاك في النفس"**؛ لأنك أنت حاك في نفسك أمرٌ مخالفٌ للدليل الصريح الصحيح.

"حديث حسن" هذه تنطق هكذا **"رؤيانه"** بالتشديد مبنية للمجهول، **"حديث حسن رؤيانه"**، فإذا جاء في هذا الكتاب أو في غيره هذه العبارة فتتعلق بهذا النطق. فإن قيل: الحال التي يعمل فيها الإنسان بهذا الشيء المتردد في نفسه، متى يلتفت إليه ومتى لا يلتفت إليه؟ تلتفت إليه في المسألة التي فيها خفاءٌ وغموضٌ وليس فيها دليلٌ صحيحٌ، أما إن كانت مجرد وسوسةٍ أو ردٍّ للأدلة الصريحة، أو من باب التشديد على النفس والتنطع فلا يلتفت إلى ما يتردد في النفس.



الحديث الثامن والعشرون

عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: "وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَوْعِظَةً وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَُا مَوْعِظَةٌ مُودِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

"أَبِي نَجِيحٍ" هَذِهِ كُنْيَتُهُ مِثْلُ كُنْيَةِ الشَّيْخِ أَيْضًا الَّذِي أَمَامِي الْآنَ.

"الْعَرَبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ" السُّلَمِيُّ غَيْرُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ هُوَ السَّلَمِيُّ بَفَتْحَتَيْنِ، ذَلِكَ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ وَهَذَا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الصَّفَةِ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ. "وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً" كَانَتْ هَذِهِ الْمَوْعِظَةُ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ.

"وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ" يَعْنِي خَافَتْ.

"وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ" يَعْنِي سَالَتْ بِالْدمْعِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَمِنْ أَثَرِ تِلْكَ الْمَوْعِظَةِ.

"فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَُا مَوْعِظَةٌ مُودِّعٍ فَأَوْصِنَا" يَعْنِي مَوْعِظَةٌ مِنْ حُضْرِهِ الْمَوْتِ، كَأَنَّكَ تَلْمَحُ بِهَذِهِ الْمَوْعِظَةِ جَرَاءَ مِبَالِغَتِكَ فِي النَّصِيحِ وَالْوَعْظِ، كَأَنَّكَ تَشِيرُ وَتَلْمَحُ إِلَى دُنُو أَجْلِكَ، هَذَا مَعْنَى مُودِّعٍ.

"قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ" هَذِهِ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى فِي هَذَا الْحَدِيثِ، "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا" بِفِعْلِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، "وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ" يَعْنِي لَوْلَاةِ الْأُمُورِ، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ تَقْوَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَلَكِنْ هَذَا مِنْ بَابِ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ، فَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ أَحَدُ أَفْرَادِ تَقْوَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، تَقْوَى اللَّهِ يَدْخُلُ فِيهِ التَّوْحِيدُ، يَدْخُلُ فِيهِ الصَّلَاةُ، يَدْخُلُ فِيهِ الصَّوْمُ إِلَى آخِرِهِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَوْلَاةِ الْأُمُورِ، لَكِنْ إِذَا ذُكِرَ الْخَاصُّ بَعْدَ الْعَامِّ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى الْعِنَايَةِ بِهِ

والاهتمام به، وَذَلِكَ أَنَّ السمع والطاعة لولاة الأمور يترتب عليها صلاح أمر الدنيا، واستقامة الحال، وتمكن النَّاسِ مِنَ المعاش، ومن طلب العلم، ومن إقامة أمر الدين وأمر الدنيا، فلا تصلح حياتهم ولا دنياهم ولا تصلح لهم أمور دينهم إلا بالسمع والطاعة لولاة أمورهم.

"وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ" هنا يقصد النَّبِيُّ ﷺ بهذا التعبير أَنَّ ينزع ما في قلوب النَّاسِ مِنْ آثار الجاهلية الأولى، فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَجِبُونَ السمع والطاعة، وَيَأْنِفُونَ أَنَّ يَسْمَعُوا وَيَطِيعُوا لِابْنِ العم وللقريب؛ فضلاً عَنِ البعيد، فضلاً عَنِ أَنْ يَكُونَ شَخْصٌ كَانَ مَمْلُوكًا، أَوْ لَا يَزَالُ مَمْلُوكًا ولكن يتأمر ويتسلط عَلَيْهِمْ.

فالنبي ﷺ يَقُولُ: اسمع وأطع مهما كَانَ هَذَا الولي، تحبه، تبغضه، تحله، تحتقره، أيتها كانت حالته، فَإِذَا وُيِّى الْأَمْرُ عَلَيْكَ أَنَّ تسمع وتطيع، وَأَنْ تُوْدِيَ لَهُ الْحَقَّ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّهُ لولاة الأمور، فهذا معنى هَذِهِ العبارة: **"وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ"** عليكم أَنْ تسمعوا وَأَنْ تطيعوا وَأَلَّا تلتفتوا إِلَى المشاعر الَّتِي ورثتموها عَنِ آبَائِكُمْ وَعَنِ أَسْلَافِكُمْ فِي الجاهلية الأولى؛ الَّتِي كانت تَأْنِفُ أَنْ تسمع وَأَنْ تطيع.

"فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا" فسيرى اختلافًا كثيرًا عما كَانَ عَلَيْهِ الحال فِي عهده ﷺ، فذلك مِنْ جهة ظهور البدع والمحدثات والافتراق فِي الدين، وضعف التمسك بالكتاب وَالسُّنَّةِ، فهذا المقصود مِنْ الاختلاف الكثير، وَهَذَا هُوَ المرض والداء، ما هُوَ العلاج لِهَذَا الاختلاف الكثير؟

"فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ" أمرنا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نتمسك بسنته، وَالسُّنَّةُ تطلق إطلاقات متعددة، لكن المقصود هنا عليكم التمسك بما جئت به، فيدخل فِي قوله: **"بسنتي"** كتاب الله، وَسُنَّةُ رسوله ﷺ كلها:

○ أحياناً تطلق السُّنَّةُ ويراد بها ما يقابل البدعة،

○ أحياناً تطلق السُّنَّةُ ويراد بها ما يقابل الْقُرْآنَ الكريم،

○ وأحياناً تطلق السُّنَّةُ ويراد بها ما يقابل الواجب،

السُّنَّةُ هنا الَّتِي فِي الحديث يَعْنِي تمسكوا بكل ما جئت به مِنْ كتاب الله وسنته ﷺ.

"وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ" مَنْ هم الخلفاء الراشدون؟ أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، هؤلاء هم الخلفاء الراشدون، وَوُصِفُوا بِالرُّشْدِ؛ لِأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ أَمْرَيْنِ: معرفة الهدى، والعمل

به، هَذَا هُوَ الرَّاشِدُ، مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَعَمِلَ بِهِ، وَأَمَّا الْغَاوِي فَهُوَ الَّذِي إِمَّا أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْحَقَّ، أَوْ يَعْلَمُهُ لَكِنْ لَا يَعْمَلُ بِهِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

"الْمَهْدِيِّينَ" وَصَفُ ثَانٍ لِهَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءِ، الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ هَلْ عِنْدَهُمْ دِينٌ جَدِيدٌ غَيْرَ الدِّينِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ ﷺ؟ الْجَوَابُ: لَا، مَا جَاءُوا بِدِينٍ جَدِيدٍ، وَلَكِنْ الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ نَتَبَعَ سُنَّتَهُمْ، طَرِيقَتَهُمْ، وَطَرِيقَتَهُمْ هِيَ لَزُومِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَاجْتِنَابِ الْبِدْعِ وَالْمُحَدَّثَاتِ، فَهَذِهِ سُنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ.

أَيْضًا إِذَا فَهَمُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَهَمَّا فَفَهَمَهُ عَلَى ضَوْءِ فَهَمِهِمْ لَا نَخَالِفُ فَهَمَهُمْ، وَيَدْخُلُ فِي سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْأَمْرُ الَّذِي قَضَوْا بِهِ وَلَمْ يُخَالَفُوا فِيهِ.

وَسُنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، مِثْلًا عِنْدَنَا عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَادَ الْأَذَانَ الْأَوَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَعَثْمَانُ أَحَدُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، فَمَا يَجُوزُ أَنْ نَسْمِيَ هَذَا الْأَذَانَ بِدْعَةٍ، بِمَعْنَى بِدْعَةٍ فِي الدِّينِ، قَدْ يُطْلَقُ عَلَى أَنَّهُ بِدْعَةٌ مِنْ جِهَةِ اللُّغَةِ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ مَا كَانَ مُوجُودًا قَبْلَهُ، لَكِنْ أَنْ نَسْمِيَهُ بِدْعَةٍ عَلَى أَنَّ هُوَ بِدْعَةٌ ضَلَالَةٌ، وَأَنَّهَا مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ؟ لَا، لِمَاذَا؟

الأمر الأول: لِأَنَّ عَثْمَانَ خَلِيفَةً رَاشِدًا، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ: **"عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ"** فَهَذِهِ سُنَّةٌ مِنْ خَلِيفَةِ رَاشِدٍ بِشَهَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، شَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ خَلِيفَةٌ، وَشَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ رَاشِدٌ، وَشَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ مَهْدِيٌّ.

الأمر الثاني: عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا فَعَلَ هَذَا الْأَمْرَ وَزَادَ هَذَا الْأَذَانَ هُوَ لَمْ يَأْتِ بِمَحْضِ الْهَوَى، وَإِنَّمَا عِنْدَهُ مَسْتَنَدٌ شَرْعِيٌّ أَيْضًا وَهُوَ الْأَذَانُ الْأَوَّلُ لَصَلَاةِ الْفَجْرِ؛ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَالْأَذَانُ الْأَوَّلُ لَصَلَاةِ الْفَجْرِ قَبْلَ دُخُولِ الْوَقْتِ، فَلَيْسَ هُوَ أَذَانًا لِلْقِيَامِ لِلصَّلَاةِ، لَيْسَ أَذَانًا لِلْإِعْلَامِ بِدُخُولِ وَقْتِ الصَّلَاةِ، وَإِنَّمَا أَذَانٌ يُرَادُ بِهِ التَّنْبِيهُ عَلَى قُرْبِ وَقْتِ الصَّلَاةِ، وَقُرْبِ وَقْتِ الْإِمْسَاكِ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"إِنَّ بِلَالًا يُؤَذِّنُ بَلِيلٍ فَكُلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ"**، فَبِلَالٌ يُؤَذِّنُ قَبْلَ دُخُولِ الْوَقْتِ، يُؤَذِّنُ بَلِيلٍ يَغْنِي قَبْلَ دُخُولِ وَقْتِ الْفَجْرِ، ثُمَّ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يُؤَذِّنْ بَلِيلٌ؟ قَالَ: **"لِيُوقِظَ نَائِمَكُمْ وَيَرْجِعَ قَائِمَكُمْ"**، النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ يَرِيدُ أَنْ يَوْتِرَ فَيَوْتِرَ، يَرِيدُ أَنْ يَتَسَحَّرَ فَيَتَسَحَّرَ، وَالْقَائِمُ الَّذِي فِي الصَّلَاةِ يَصْلِي فِي اللَّيْلِ وَسَمِعَ أَذَانَ بِلَالٍ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَخْفَفُ وَيَسْلَمُ، وَإِذَا كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَتَسَحَّرَ يَتَسَحَّرَ، وَيَسْتَعِدُّ لِلْيَوْمِ الْجَدِيدِ.

فكان هَذَا الأذان الأول مقصده التنبيه عَلَى قرب دخول الوقت؛ حَتَّى يستعدوا لصلاة الفجر، أو حَتَّى يستعدوا للصوم بالسحور، **فعثمان ماذا فعل؟** رَأَى النَّاسَ يَغفلون عَنْ أَنَّ اليوم جمعة، فيداهمهم وقت الجمعة وهم ما اغتسلوا، وهم ما تطيبوا، وهم ما تهيؤوا، وما رجعوا مِنْ مزارعهم وما رجعوا مِنْ أسواقهم البعيدة عَنِ المدينة، فيؤدي ذَلِكَ إِلَى تفويت الجمعة عَلَيْهِمْ.

فسَنَّ هَذَا الأذان الأول مِنْ باب التنبيه إِلَى قرب وقت التوجه لصلاة الجمعة، وَكَانَ هَذَا هُوَ العمل عَلَيْهِ فِي المدينة بمحضرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم مِمَّنْ كَانَ حَيًّا فِي ذَلِكَ الوقت، فلا يجوز أَنْ نسمي هَذَا الأذان بدعة، أو -والعياذ بالله- يُطلق عَلَى عثمان بأنه مبتدع، نعوذ بالله مِنْ ذَلِكَ، هَذَا كله لا يجوز.

"عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ" عَضُّوا بفتح العين، لا يقال عَضُّوا بضمها، عَضُّوا هَذَا خطأ، **"عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ"** أقصى الأضراس، **"عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ"** يَعْنِي تمسكوا بها بشدة، واصبروا عَلَى ما يصيبكم مِنْ جراء ذَلِكَ مِنَ الأذى، سواء سَبُّ، وَشْتَمٌ، وَهَزْؤٌ، وَسَخَرِيَّةٌ، أو نحو ذَلِكَ؛ لِأَنَّ المتمسك بالسنة سيجد فِي الغالب أذيةً وابتلاءً، فعليه أَنْ يصبر وَأَنْ يستمسك بسنة النَّبِيِّ ﷺ وَسُنَّةِ الخلفاء الراشدين، ولا سيما مَعَ الاختلاف الكثير؛ لِأَنَّ كُلَّ فرقةٍ تريدك معها، وَكُلَّ فرقةٍ تعاديك إِذَا لَمْ تكن معها، وَأَنْتَ لا تريد أَنْ تكون مَعَ هَذَا ولا مَعَ هَذَا، تريد أَنْ تكون مَعَ كتاب الله وَسُنَّةِ رسوله ﷺ.

"وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ" يَعْنِي أنْهَأكُم وأحذركم هَذَا معنى **"إِيَّاكُمْ"** يَعْنِي أحذركم، **"ومحدثات الأمور"** يَعْنِي فِي الدين.

"فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ" لا توجد بدعةٌ فِي الدين حسنة، لا توجد بدعةٌ فِي الدين هدى، لا توجد بدعةٌ فِي الدين حق، البدع كلها ضلالة.

الحديث التاسع والعشرون

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ قَالَ: "لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْحَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٧] ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: تَكَلَّمْتَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ. وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ" رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

"عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ" هَذَا السُّؤَالُ فِيهِ الدَّلِيلُ عَلَى فَضْلِ مُعَاذٍ رَدِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِثْلَهُ مِثْلُ مَا سَبَقَ مِنَ الصَّحَابَةِ أَيْضًا، يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَمَّا يَنْفَعُهُمْ، وَلَا سِيَمَا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ، فِي أَمْرِ الدِّينِ.

قَالَ: "لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ" سؤَالٌ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ يَدْخُلُكَ الْجَنَّةَ، وَلَا أَعْظَمُ ثَوَابًا مِنَ الْجَنَّةِ، وَكَذَلِكَ سَأَلْتُ عَنْ عَمَلٍ يَنْقُذُكَ مِنَ النَّارِ، وَلَا عَذَابَ أَعْظَمَ مِنَ النَّارِ، فَشَيْءٌ تَفُوزُ بِهِ بِالْجَنَّةِ هَذَا الثَّوَابُ الْعَظِيمُ، وَتَنْجُو بِهِ مِنَ النَّارِ ذَلِكَ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ، لَا شَكَّ أَنَّ سؤَالَ عَظِيمٌ لَهُ شَأْنٌ، لَكِنْ مَعَ عَظَمِ شَأْنِهِ وَعَظَمِ عَاقِبَتِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسِيرٌ لِمَنْ يَسْرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

"تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا" يَعْنِي لَا شِرْكًَا أَكْبَرَ وَلَا شِرْكًَا أَصْغَرَ، لَا شِرْكًَا قَوْلِيًّا وَلَا شِرْكًَا عَمَلِيًّا، كَذَلِكَ أَيْضًا "لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا" يَعْنِي مِنَ الْأَشْيَاءِ، لَا تُشْرِكُ بِهِ مَلَكًا وَلَا نَبِيًّا وَلَا وَلِيًّا وَلَا شَجَرًا وَلَا حَجَرًا وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ، بِمَعْنَى أَنَّ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَتَتَبَرَّأَ مِنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ.

"وَتَقِيمُ الصَّلَاةَ" يَعْنِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ الْمَفْرُوضَةَ الْمَكْتُوبَةَ.

"وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ" الْمَفْرُوضَةَ.

"وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ" حَجَّ الْفَرِيضَةِ وَمَا زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ.

"ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟" هَذَا مِنْ كَرَمِ النَّبِيِّ ﷺ، كَرِيمٌ بِجَاهِهِ ﷺ فَكَانَ يَشْفَعُ لِلضَّعِيفِ وَالْأَرْقَاءِ، وَكَانَ أَيْضًا كَرِيمًا بِمَا لَهُ فَهُوَ جَوَادٌ ﷺ، أَجُودُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ، وَجَوَادٌ بَعْلَمُهُ، فَهَذَا سَأَلَ سُؤَالَ أَجَابَهُ وَأَعْطَاهُ أَيْضًا زِيَادَةً عَلَى مَا سَأَلَ، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ السَّائِلِ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَوَضُّ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ؟" قَالَ: "هُوَ الطَّهُّورُ مَأْوُهُ"، هَذَا جَوَابٌ لِسُؤَالِهِ، وَزِيَادَةٌ أَيْضًا، ثُمَّ أَعْطَاهُ حَكْمًا آخَرَ: "الْحِلُّ مَبْتَنِيٌّ".

"الصَّوْمُ جُنَّةٌ" جُنَّةٌ بضم الجيم، لَيْسَ جَنَّةً، وَلَا جِنَّةً، "الصَّوْمُ جُنَّةٌ" يَعْنِي وَقَايَةً وَسْتَرًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، فَالصَّوْمُ يَحْرِزُكَ وَيَحْفَظُكَ مِنَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

"وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ" فَهِيَ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَعْقِبَ السَّيِّئَاتِ، مَرَّةً مَعْنَى فِي حَدِيثٍ مُعَاذٍ بِالْأَمْسِ: "وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا"، فَإِذَا أَغْضَبَتْ رِبَكَ بِالْمَعْصِيَةِ فَاسْعَ فِي طَلَبِ رِضَاهِ جَلَّ وَعَلَا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّهَا تَطْفِئُ نَارَ تِلْكَ الْخَطِيئَةِ.

"وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ" يَعْنِي تَطْفِئُ الْخَطَايَا وَهِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ وَالْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، وَالْمَقْصُودُ بِهِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ لَيْسَ خَاصًّا بِرَمَضَانَ، قِيَامُ اللَّيْلِ مَشْرُوعٌ كُلَّ السَّنَةِ.

"ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٧]

وَهَذَا الْمَوْضِعُ مِنَ الْحَدِيثِ وَأَمثَالُهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّكَ حِينَمَا تَسْتَدِلُّ بِآيَةٍ فَلَا يَشْرَعُ لَكَ الِاسْتِعَاذَةُ قَبْلَهَا، فَدَائِمًا تَأْتِينَا الْأَحَادِيثُ وَفِيهَا اسْتِدْلَالُ النَّبِيِّ ﷺ بِأَدْلَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَلَيْسَتْ مَسْبُوقَةً بِاسْتِعَاذَةٍ، مِثْلُ مَا تَقَدَّمَ مَعْنَى أَمْسٍ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ"، ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ

طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ، ليس فيها استعادة، فكان الذي ينبغي ترك الاستعادة في هذا الموطن؛ حينما تذكر الآية استدلالاً بها في معرض الحديث والكلام والخطبة ونحو ذلك.

وَأَيْضًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَلَمَّا أَخَفُوا عَمَلَهُمُ الصَّالِحَ الَّذِي هُوَ الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ؛ جَعَلَ اللَّهُ ثَوَابَهُمْ مَخْفِيًا، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ لَمْ يُطْلِعِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْعِبَادَ عَلَى مَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الثَّوَابِ الَّذِي أَخْفَاهُ عَنْهُمْ.

"ثُمَّ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟" الْأَمْرُ الَّذِي جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْهُ: "أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ" يَعْنِي كَأَنَّهُ بِأَمْرٍ يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ، رَأْسُ الْأَمْرِ الَّذِي جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا.

"قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ" هَذَا أَهَمُّ شَيْءٍ، الَّذِي يَدْخُلُكَ الْجَنَّةَ وَيُنْقِذُكَ مِنَ النَّارِ الْإِسْلَامُ التَّوْحِيدُ، وَالدَّخُولُ فِيهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَالْإِسْلَامُ مَعْنَاهُ الْاسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِقْبَادِ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْبِرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ، هَذَا هُوَ رَأْسُ الْأَمْرِ، الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَوْحِيدٌ لَا تَنْفَعُهُ لَا صَلَاةٌ، وَلَا زَكَاةٌ، وَلَا صَوْمٌ، وَلَا حَجٌّ، وَلَا غَيْرُهُ مِنَ الطَّاعَاتِ، مِثْلُ الْجَسَدِ الَّذِي بَدُونُ رَأْسٍ، أَيْتَنَعَ بِيَدِهِ أَوْ بِرِجْلِهِ أَوْ بِطَنِهِ أَوْ بِظَهْرِهِ؟ لَا يَنْتَفِعُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَرَأْسُ الْأَمْرِ هُوَ الْإِسْلَامُ يَعْنِي التَّوْحِيدَ.

"وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ" يَجْعَلُ الْأَمْرَ هَذَا الَّذِي يَدْخُلُكَ الْجَنَّةَ مِثْلَ الْخِيْمَةِ، الْخِيْمَةُ لَا تَقُومُ إِلَّا عَلَى عَمُودٍ، فَإِذَا انْهَدَمَ الْعَمُودُ أَوْ سَقَطَ الْعَمُودُ مَاذَا بَقِيَ مِنَ الْخِيْمَةِ؟ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ، مَا عَادَتْ خِيْمَةً، صَارَتْ بَسَاطَةً عَلَى الْأَرْضِ، تَكُونُ خِيْمَةً إِذَا الْعَمُودُ قَائِمٌ وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ عَلَى هَذَا الْعَمُودِ هُنَا تَكُونُ خِيْمَةً، هُنَا يَكُونُ بَيْتٌ، فَإِذَا سَقَطَ الْعَمُودُ سَقَطَ الْبِنَاءُ مَا عَادَ فِيهِ بِنَاءٌ.

وَهَكَذَا الصَّلَاةُ بِالنِّسْبَةِ لِلْإِسْلَامِ، فَإِذَا فِيهِ صَلَاةٌ فِيهِ دِينٌ، وَإِذَا انْهَدَمَتِ الصَّلَاةُ انْهَدَمَ الْبِنَاءُ، وَهَذَا مِنَ الْأَدْلَةِ الَّتِي اسْتَدَلُّوا بِهَا عَلَى كُفْرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ، أَنَّهُ لَا صَلَاةَ عِنْدَهُ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا إِسْلَامَ عِنْدَهُ.

أَمَّا تَرَى الْقُسْطَاطَ يَا ذَا عِنْدَمَا *** عَمُودُهُ يَسْقُطُ مِنْهُ انْهَدَمَا**

"وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ" هُنَا يَشَبَّهُ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَيُنَجِّي مِنَ النَّارِ يَشَبَّهُهُ بِالْبَعِيرِ، وَأَعْلَى مَا فِي الْبَعِيرِ سَنَامُهُ، وَهَذَا كُنَايَةٌ عَنِ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ وَالسُّودْدِ، فَعِزُّ

الإسلام وظهور شأن أهله إنما يكون بالجهاد، فإذا عطلوا الجهاد ذلوا وهانوا وتسلبت عليهم العدو.

"أَلَا أَخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟" يَعْنِي بِمَا يَجْمَعُ لَكَ أَسْبَابَ هَذَا الْخَيْرِ كُلِّهِ، فِيهِ خَصْلَةٌ إِذَا حَافِظَتْ عَلَيْهَا يَسَّرَتْ لَكَ بِإِذْنِ اللَّهِ أَسْبَابَ هَذَا الْخَيْرِ كُلِّهِ، الْحِفَافُ عَلَى الصَّلَاةِ، الْحِفَافُ عَلَى الصَّوْمِ وَالصَّدَقَةِ، كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، فَهِيَ خَصْلَةٌ عَجَبِيَّةٌ وَشَأْنُهَا عَظِيمٌ، مَا هِيَ هَذِهِ الْخَصْلَةُ؟

"قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَنْكَ هَذَا قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

أَلَا أَخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ زَادَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَكَانَ مُعَاذٌ رَجُلًا صَاحِبَ فَطْنَةٍ وَفَهِمٍ، فَكَانَ مُحَلًّا لِلْعَنَايَةِ الْعِلْمِيَّةِ بِهِ، وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ مَشْهُورٍ لَكِنْ فِي إِسْنَادِهِ كَلَامٌ: "أَعْلَمُ أُمَّتِي بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ"، وَجَاءَ أَيْضًا فِيهِ "أَنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ بَرْتُوَّةً"، يَعْنِي بِرْمِيَّةَ حَجَرٍ، يَسْبِقُ وَيَتَقَدَّمُ الْعُلَمَاءَ.

"كُفَّ عَنْكَ هَذَا" أَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ، يَعْنِي أَخْزَلَ لِسَانَكَ وَاحْفَظْ لِسَانَكَ فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَمَنْ حَافِظٌ عَلَى لِسَانِهِ وَرَاعَى لِسَانَهُ فَأَحْسَنَ كَلَامَهُ وَكَفَّ لِسَانَهُ عَنِ الْكَلَامِ السَّيِّئِ؛ كَانَ ذَلِكَ عَوْنًا لَهُ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا دُخُولَ الْجَنَّةِ وَنَجَاتِهِ مِنَ النَّارِ؛ لِأَنَّهُ نَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ الْقَلْبَ هُوَ مَلِكُ الْجَوَارِحِ، وَلَكِنْ هَذَا الْقَلْبُ لَهُ وَزِيرٌ، وَدَائِمًا الْمُسْئُولُ يَتَأَثَّرُ بِالْبَطَانَةِ، "مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَتَانِ".

فَالشَّاهِدُ أَنَّهُ يَتَأَثَّرُ بِالْبَطَانَةِ، وَاللِّسَانُ بِالنِّسْبَةِ لِلْقَلْبِ مِثْلُ الْوَزِيرِ لِلْمَلِكِ، فَهُوَ يُوَثِّرُ عَلَيْهِ تَأْثِيرًا عَظِيمًا، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ كُلَّ يَوْمٍ تُكْفِّرُ اللِّسَانَ، يَعْنِي تَخْضَعُ لِلِّسَانِ، وَتَقُولُ: "إِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، إِنْ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجَتْ اعْوَجَجْنَا".

فَهَذَا الْجُزْءُ مِنَ الْحَدِيثِ فِيهِ الْحَثُّ عَلَى حِفْظِ اللِّسَانِ وَصِيَانَةِ اللِّسَانِ، مِثْلُ مَا تَقَدَّمَ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ ﷺ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ".

هنا معاذ تعجب فقال: "يا رَسُولَ اللَّهِ وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟" فقال: "تَكَلَّمْتُكَ أَثُمَّكَ"، هَذَا دَعَاءُ بِالْمَوْتِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا مَاتَ ثَكَلَتْهُ أُمُّهُ، وَلَكِنْ هَلْ هَذَا الدَّعَاءُ مَقْصُودٌ؟ الْجَوَابُ: لَا، وَإِنَّمَا هِيَ كَلِمَةٌ كَانَتْ دَارِجَةً عَلَى الْأَلْسِنِ لَا يَرَادُ بِهَا حَقِيقَةٌ مَعْنَاهَا.

"وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟" اللسان يزرع في الدنيا ويحصد ما زرع يوم القيامة، في الدنيا هذا اللسان مثله مثل بقية الجوارح يزرع في الدنيا، والحصاد متى؟ يوم القيامة، كما يقول القائل: "إنك لا تحني من الشوك العنب"، الذي يزرع شوكة يحصد شوكة، والذي يزرع عنباً يحصد عنباً.

❖ الَّذِي يزرع الآن في الدنيا عملاً صالحاً يحصد يوم القيامة جزاءه الذي هو حسنات،

❖ وَالَّذِي يزرع عملاً خبيثاً سيئاً يحصد يوم القيامة سيئات،

فقوله: "إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ" يَعْنِي كَأَنَّ اللِّسَانَ الْآنَ مُسْتَمِرٌّ يزرع، يزرع في الدنيا آثاماً، يزرع أعمالاً سيئة، لما جاء يوم القيامة وَإِذَا هَذَا الزرع قد أثمر سيئات عظيمة، فوضعت في الميزان فرجحت بالحسنات وبالتالي كَبَّتْ صاحبها في جهنم، فهذا معنى قوله: "وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ" يَعْنِي كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، أَوْ وَهَلْ يَكُوبُ أَكْثَرُ النَّاسِ، لَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَهْلِكُ، وَإِنَّمَا قَوْلُهُ: "وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ" يَعْنِي أَكْثَرُ النَّاسِ أَوْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، إِنَّمَا يَدْخُلُونَ النَّارَ بِسَبَبِ أَلْسِنَتِهِمْ.

الحديث الثلاثون

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْحُسَيْنِيِّ جُرْثُومِ بْنِ نَاشِرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيَعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا". حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ.

هَذَا الْآنَ يَبِينُ وَاجِبُ الْمُسْلِمِ تَجَاهَ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ الْأَرْبَعَةِ:

"فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيَعُوهَا" الفرائض الواجبات ما واجبك تجاهها؟ لا تضيعها، فرض عليك الصَّلَاةَ حافظ عليها، فرض عليك قبل ذَلِكَ التوحيد حافظ عَلَيْهِ، فرض عليك الصوم صَمَّ.

"وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا" يَعْنِي مَثَلًا جَعَلَ صَلَاةَ الظُّهْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، لَا تَزِدْ خَمْسًا، صَلَاةَ الْمَغْرَبِ ثَلَاثَ رَكَعَاتٍ لَا تَزِدْ رَابِعَةً، صَوْمَ رَمَضَانَ إِلَى أَنْ يَكْمَلَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا أَوْ يُرَى هَالِلَ شَوَالٍ، فَمَا تَصُومُ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ، الْوُقُوفَ بِعَرَفَةَ يَوْمَ وَاحِدٍ، لَا تَقِفَ بِعَرَفَةَ يَوْمَيْنِ.

"وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا" هَذَا قِسْمُ الْحَرَمَاتِ "فَلَا تَنْتَهِكُوهَا" يَعْنِي اجْتَنِبُوهَا وَلَا تَأْتُوا هَذَا الْحَرَمَ، حَرَّمَ الزَّنا إِذْنٍ لَا تَزْنِ، حَرَّمَ الْخَمْرَ إِذْنٍ لَا تَشْرَبْ خَمْرًا، حَرَّمَ الْقَتْلَ بِغَيْرِ حَقٍّ إِذْنٍ لَا تَقْتُلَ بِغَيْرِ حَقٍّ، حَرَّمَ الرِّشْوَةَ إِذْنٍ لَا تَمْدُ يَدَكَ لِلرِّشْوَةِ وَهَكَذَا.

"وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ" سَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ لَا أَوْجِبُهَا وَلَا حَرَمُهَا، لَمْ يَأْمُرْكُمْ بِهَا وَلَمْ يَنْهَكُمْ عَنْهَا.

"فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا" لَا تَبْحَثُوا عَنْهَا بِالذَّاتِ وَقْتَ نَزُولِ الشَّرْعِ، وَقْتَ نَزُولِ التَّشْرِيعِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ تَبَحَّثَ عَنْهَا وَتَسْأَلُ عَنْهَا وَهِيَ مَسْكُوتٌ عَنْهَا فَيَنْزِلُ التَّحْرِيمُ بِسَبَبِكَ، فَيَكُونُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ إِثْمٌ.

"وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا" لِأَنَّهُ مَا سَكَتَ عَنْهَا نِسْيَانًا، وَإِنَّمَا سَكَتَ عَنْهَا رَحْمَةً وَتَخْفِيفًا، إِذْنِ الْفَرِيضَةِ تَحَافُظَ عَلَيْهَا، الْحُدُودَ لَا تَتَجَاوِزُهَا، الْحَرَامَ لَا تَنْتَهِكُهَا، الْحَلَالَ اسْتَمْتِعْ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ.

الحديث الحادي والثلاثون

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ: "أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ". حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَغَيْرُهُ بِإِسْنَادٍ حَسَنَةٍ.

"جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ" والله عز وجل يُحِبُّ، وَيُحِبُّ، فهذه صفةٌ مِنْ صفات الله جل وعلا، وأهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بها كما يؤمنون بسائر الصفات؛ ولكن لا يشبهون صفاته بصفات خلقه. وَكَذَلِكَ "يُحِبُّ النَّاسَ" علمني عملاً إِذَا عَمَلْتُهُ يُحِبُّ النَّاسَ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا حَرَجَ أَنْ يَطْلُبَ الْعَبْدُ مَحَبَّةَ النَّاسِ، لَكِنْ بِغَيْرِ مَعْصِيَةٍ، لَا تَطْلُبُ مَحَبَّتَهُمْ وَمُودَتَهُمْ بِالْمَعْصِيَةِ، لَكِنْ تَطْلُبُ مَحَبَّتَهُمْ بِشَيْءٍ مَبَاحٍ أَوْ بِشَيْءٍ مَأْذُونٍ فِيهِ شَرْعًا أَوْ مَأْمُورٍ بِهِ شَرْعًا فَلَا حَرَجَ فِي ذَلِكَ، وَهَذَا الرَّسُولُ لَمْ يَقُلْ: "لِمَاذَا تَطْلُبُ حُبَّ النَّاسِ؟" لَمْ يَقُلْ لَهُ هَذَا، فَأَقْرَهُ عَلَى هَذَا الطَّلَبِ، أَقْرَهُ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ.

وَأَيْضًا فِي الْحَدِيثِ: "هَادُوا تَحَابُّوا"، "أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ"، فكونك تأتي بالخصال التي فيها توددٌ وتُحِبُّ للناس يحبونك ويودونك، وليس في هذا الشيء الذي تقوم به معصيةٌ لله فلا حَرَجَ فِي ذَلِكَ. "أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا" لَا تَتَوَسَّعُ فِيهَا، اقْتَصِرْ فِيهَا عَلَى الشَّيْءِ الْمُهْمِ، عَلَى الشَّيْءِ الضَّرُورِيِّ، يُحِبُّكَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا.

"وَأَزْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ" لَا تَتَطَلَّعُ وَلَا تَطْلُبُ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، بِهَذَا النَّاسِ يَحِبُّونَكَ، لَكِنْ إِذَا نَافَسْتَهُمْ أَوْ طَلَبْتَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مَلُوكٌ وَكَرْهُوكَ وَثَقُلْتَ عَلَيْهِمْ.

الحديث الثاني والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **"لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ"**. حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَالدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا. وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا، فَأَسْقَطَ أَبُو سَعِيدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يَقْوَى بَعْضُهَا بَعْضًا.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَحَدِ السَّبْعَةِ الْمَكْتَرِينَ أَيْضًا مِنَ الرَّوَايَةِ مِثْلَ جَابِرٍ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ، وَالتَّائِظُ يَقُولُ:

وَأَنْسَ وَالْبَحْرُ كَالْخُدْرِيِّ ***** وَجَابِرٌ وَزَوْجَةُ النَّبِيِّ

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **"لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ"** معنى هذا الحديث: **"لَا ضَرَرَ"** يَعْنِي الضَّرَرُ مُنْتَفٍ فِي الشَّرْعِ، فَالشَّرْعُ لَا يَأْتِي بِالضَّرَرِ، وَلَا يَأْمُرُ بِالضَّرَرِ، وَلَا يَقْرَ الضَّرَرُ، هَذَا شَرَعْنَا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ:

● فلا تضر نفسك ولا تضر غيرك،

● ولا تضر غيرك ابتداءً ولا تضره مقابلةً بشكلٍ زائدٍ عَنِ الْمَأْذُونِ بِهِ،

لا تضر نفسك ولا تضر غيرك، بالنسبة للغير لا تضر غيرك ابتداءً ولا تضره ضرراً من باب المقابلة، ضرراً زائداً عَنِ الْمَأْذُونِ فِيهِ، أَوْضَحَ هَذَا بَعْضُ الْأَمْثَلَةِ.

"لَا ضَرَرَ" قُلْنَا: لا تضر نفسك، ولهذا نُحْيِي الْمُسْلِمَ أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]. "مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، مَنْ تَرَدَّى

مِنْ جَبَلٍ، مَنْ تَحَسَّى سَمًّا، الْحَدِيثُ الْمَشْهُورُ الْمَعْرُوفُ، فَلَا يَجُوزُ قَتْلُ النَّفْسِ؛ حَتَّى وَلَوْ فِيْمَا يَسْمَى الْآنَ بِالْعَمَلِيَّاتِ يَسْمُوهَا الْاسْتِشْهَادِيَّةَ وَهِيَ عَمَلِيَّاتٌ اِتِّحَارِيَّةٌ، فَهَذَا قَتْلٌ لِلنَّفْسِ،

وَقَتْلُ النَّفْسِ لَا يَجُوزُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَدِيثٍ قَدْسِي: **"بَادِرْنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ"**.

كَذَلِكَ أَيْضًا لَا تضر غيرك ابتداءً، مثلاً مررتَ بشخصٍ وَهُوَ جَالِسٌ فَقُلْتَ: "لَعَنَكَ

اللَّهُ"، لَعَنَتَهُ هَكَذَا اِبْتِدَاءً، هَلْ ضَرَرُ هَذَا أَمْ لَيْسَ بِضَرَرٍ؟ هَذَا ضَرَرٌ وَأَذَى، فَهَذَا ضَرَرٌ اِبْتِدَاءً،

شخصٌ قَالَ لَكَ مثلاً: "لعنك الله"، ظلمًا وعدوانًا هكذا، قلتَ له أَنْتَ: "لعنك الله"، كلمتك هَذِهِ مَأْذُونٌ فِيهَا أَمْ مِنْهِي عَنْهَا؟ مَأْذُونٌ فِيهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

قَالَ لَكَ: "لعنك الله"، قلتَ: "لعنك الله أَنْتَ وَأَبُوكَ وَأُمُّكَ"، كلامك هَذَا مَأْذُونٌ فِيهِ؟ الْمَأْذُونُ فِيهِ فَقَطِ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْهُ، لَمَّا قَابَلْتَ سَيِّئَتَهُ بِسَيِّئَةٍ مِثْلِهَا، لَكِنْ الزِّيَادَةُ هَذِهِ مِنَ الضَّرَرِ الْمُنْهِي عَنْهُ، فَإِذَنْ:

- "لا ضرر" يَعْنِي لَا تَضُرَّ نَفْسَكَ أَوْ لَا تَضُرَّ أَحَدًا ابْتِدَاءً،
- "ولا ضرار" مِنْ بَابِ الْمُقَابَلَةِ، فَلَا تَضُرَّ غَيْرَكَ ضَرَرًا غَيْرَ مَأْذُونٍ فِيهِ شَرْعًا.

ثُمَّ أَيْضًا كَمَا قُلْنَا الشَّرِيعَةُ لَا تَأْمُرُ بِالضَّرَرِ وَلَا تَقْرَرُ الضَّرَرَ، فَإِذَا وَقَعَ الضَّرَرُ فَالضَّرَرُ لَا بُدَّ أَنْ يَزَالَ، مِثْلًا وَاحِدٌ حَفَرَ حَفْرَةً أَمَامَ بَيْتِهِ؛ لِأَيِّ مَصْلَحَةٍ كَانَتْ وَتَرَكَ هَذِهِ الْحَفْرَةَ مُحْفُورَةً هَكَذَا، يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَ شَخْصٌ وَيَسْقُطُ فِيهَا، أَوْ سَيَّارَةٌ تَسْقُطُ فِيهَا، الْمُهْمُ فِيهَا أَذِيَّةٌ، فَهَلْ يَكْفِي أَنْ نَقُولُ: "استغفر الله وتبَّ إِلَى اللَّهِ وَانْتَهَى الْأَمْرُ وَيَكْفِي"؟ يَعْنِي وَضَعَكَ هَذِهِ الْحَفْرَةَ فِي طَرِيقِ النَّاسِ هَذِهِ أَذِيَّةٌ، وَالْأَذِيَّةُ هَذِهِ مَعْصِيَةٌ، هَلْ يَكْفِي أَنْ يَقُولُ: "يا رب أنا أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ وَانْتَهَى الْأَمْرُ"، وَتَبَرَأَ ذِمَّتُهُ بِهَذَا الشَّيْءِ؟ لَا، الْقَاعِدَةُ تَقُولُ: "الضرر يزال"، هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ إِنَّ الشَّرِيعَةَ لَا تَقْرَرُ ضَرَرًا، فَالضَّرَرُ يَنْبَغِي أَنْ يَزَالَ فَيَقَالُ لَهُ: "ادْفِنْ هَذِهِ الْحَفْرَةَ، أزلْ هَذَا الْأَذَى الَّذِي يَضُرُّ النَّاسَ"، فَالضَّرَرُ يَزَالُ، وَتَطْبِيقَاتُ هَذَا الْحَدِيثِ لَا تَعُدُّ وَلَا تَحْصِي، فِهَذَا مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ الْعَظِيمَةِ.

الحديث الثالث والثلاثون

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ". حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ هَكَذَا، وَبَعْضُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ قَوَاعِدِ الْقَضَاءِ فِي الْإِسْلَامِ.

"لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ" يَعْنِي بِالدَّعْوَى الْمَجْرَدَةِ مِنَ الدَّلِيلِ.

"لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ" لَوْ كَانَتْ الدَّعْوَى تُقْبَلُ بِمَجْرَدِ الدَّعْوَى؛ كَانَ الْأَمْرُ سَهْلًا عِنْدَ النَّاسِ، الْوَاحِدُ يَذْهَبُ لِلْقَاضِي يَقُولُ: "أَنَا أَطْلُبُ مِنْ فُلَانٍ مِائَةَ أَلْفٍ دَعَاوِي يَسُدُّهَا الْآنَ"، وَلَوْ كَانَتْ الدَّعَاوِي تُقْبَلُ هَكَذَا كَانَ الْقَاضِي يُحْضِرُ الشَّخْصَ وَيَقُولُ لَهُ: "الآنِ ادْفَعْ مِائَةَ أَلْفٍ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مَطْلُوبًا أَدْلَةٌ، وَلِصَارَتْ أُمُورُ النَّاسِ فَوْضَى، وَأَكَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَكِنَّ الشَّرْعَ حَكِيمٌ، الشَّرْعُ جَاءَ بِالْعَدْلِ.

"لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ" يَعْنِي بِمَجْرَدِ الدَّعْوَى.

"لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ" وَحَتَّى أَيُّضًا النِّسَاءَ قَدْ يَقَعُ هَذَا أَيُّضًا مِنْهُنَّ، لَكِنْ مَتَى يَسْتَحِقُّ الْخَصْمُ الْمَالُ أَوِ الدَّمُ مِنْ خَصْمِهِ؟ إِذَا جَاءَ بِالْبَيِّنَةِ، "لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي"، الْمُدَّعِي هُوَ الطَّالِبُ الَّذِي يَطَالِبُ بِخِلَافِ الظَّاهِرِ بِخِلَافِ الْأَصْلِ، هَذَا هُوَ الْمُدَّعِي، "لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي"، فَإِذَا قَالَ شَخْصٌ عِنْدَ الْقَاضِي: "إِنِّي أَطْلُبُ مِنْ فُلَانٍ مِائَةَ أَلْفٍ"، فَالْقَاضِي مَاذَا يَقُولُ لَهُ؟ طَبَعًا إِذَا أَقْرَأَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ انْتَهَى لَا تَوْجُدَ مَشْكَلَةً، إِذَا قَالَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ: "نَعَمْ يَطْلُبُنِي مِائَةُ أَلْفٍ" انْتَهَيْنَا، لَا تَوْجُدَ مَشْكَلَةً وَلَا خِصُومَةً، لَكِنْ الْخِصُومَةُ مَتَى تَقَعُ؟ إِذَا أَنْكَرَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ، فَالْقَاضِي لَا يَقْبَلُ هَذِهِ الدَّعْوَى إِلَّا بِالْبَيِّنَةِ، "يَا فُلَانُ؛ فُلَانٌ يَطْلُبُ مِنْكَ مِائَةَ أَلْفٍ؟ قَالَ: "لَا"، قَالَ الْمُدَّعِي: "عِنْدِي بَيِّنَةٌ"، قَالَ لَهُ: "أَحْضِرْ بَيِّنَتَكَ"، فَأَحْضَرَ شَاهِدِي عَدْلٍ يَشْهَدَانِ أَنَّ زَيْدًا يَطْلُبُ عَمْرًا مِائَةَ أَلْفٍ، هُنَا انْتَهَتْ الْقَضِيَّةُ، وَيَحْكُمُ الْقَاضِي لَزَيْدٍ بِالْمِائَةِ أَلْفٍ عَلَى عَمْرٍو.

الشهود صادقون كاذبون في الباطن القاضي ليس له إلا الظاهر، فما دام هؤلاء شهود عدول في الظاهر تُقبل الدعوى، فيه كذب، فيه احتيال، فيه ظلم المحاكمة لها جزء ثانٍ يوم القيامة؛ إذا لم يتحلل الكاذب منهم.

فهذا معنى قوله: **"الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي"** فمن ادعى دعوى عَلَيْهِ أَنْ يأتي ببينة، والبينة هِيَ ما أبان الحق وأظهره، هل هِيَ محصورة في شاهدي عدل؟ هل هِيَ محصورة في رجل وامرأتين؟ لا، هذه بعض البيّنات، أمّا بشكل عام البينة ما أظهر الحق وأبانه، وهِيَ تختلف من حال إلى حال، قد تكون بشاهدين، قد تكون بأربعة شهود، قد تكون برجل وامرأتين، قد تكون بشهادة امرأة واحدة، تختلف البيّنات من قضية إلى قضية.

"وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ" يعني المدعى عَلَيْهِ، واليمين في الشرع تُعطى لأقوى الخصمين، كيف يَعْنِي أقوى الخصمين؟ أقواهم من جهة الخصومة، من جهة أَنْ الحق معه، ليس أقوى بدناً ولا أقوى طلاقاً لسان، إنّما أقواهم من جهة أَنْ يكون الحق بجانبه.

فمثلاً هذا الشخص الَّذِي قَالَ: "أنا أطلب من فلان مائة ألف"، إلى هنا القوة في جانب مَنْ؟ في المدعي أو المدعى عَلَيْهِ؟ المدعى عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الأصل براءة ذمته، وخرج من بطن أمه لا أحد يطلبه شيئاً، الأصل أَنَّ ذمته بريئة، طيب هذا يَقُولُ: "أنا أطلب مائة ألف"، عندك دليل؟ قَالَ: "لا، ما عِنْدِي دليل"، ما دام أَنَّهُ لا يوجد عنده دليل صار المدعى عَلَيْهِ هُوَ الأقوى جانباً من المدعي؛ لِأَنَّ المدعي عنده دعوى فقط، لكن المدعى عَلَيْهِ عنده البراءة الأصلية، فالأقوى من الخصمين هُوَ الَّذِي يُعطى اليمين، فنقول للخصم: "الآن احلف"، فيحلف يَقُولُ: "والله فلان لا يطلبني بمائة ألف"، تنتهي القضية لصالح المدعى عَلَيْهِ.

إذن المدعي عنده شاهد واحد فقط، فَهُوَ الآن يدعي عنده المطالبة مطالبٌ ملحٌّ: "أني أطلب مائة ألف"، هل عندك شهود؟ قَالَ: "ما عِنْدِي إلا شاهد واحد"، طيب صار الآن عنده الدعوى وعنده شاهد، فصار جانبه أقوى من جانب المدعى عَلَيْهِ، القاضي يَقُولُ له: "أحضر الشاهد يشهد واحلف"، فيأتي بشاهد واحد ويحلف بأنه يطلب هذا الخصم المدعى عَلَيْهِ بمائة ألف، ويستحق المائة ألف، وفي هذا يَقُولُ ابن عباس: **"قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاهِدٍ وَيَمِينٍ"**.

لماذا أعطى المدعي اليمين؟ لِأَنَّ جَانِبَهُ كَانَ هُوَ الْأَقْوَى، تَقَوَّى بِأَنَّهُ عِنْدَهُ شَاهِدٌ،
قَوْلُهُ: "وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ" لَيْسَ هَذَا بِشَكْلِ دَائِمٍ، وَإِنَّمَا لَكُنِ الْمُنْكَرُ هُوَ فِي الْغَالِبِ هُوَ
جَانِبُهُ الْأَقْوَى بِحُكْمِ الْبَرَاءَةِ الْأَصْلِيَّةِ يُعْطَى الْيَمِينَ، لَكِنْ إِذَا تَرَجَّحَ جَانِبُ الْمُدْعَى أُعْطِيَ أَيْضًا
الْيَمِينَ.

وَهَذَا أَيْضًا لَهُ مِثَالٌ فِي مَوْضُوعٍ يُسَمَّى فِي الْفَقْهِ بِالْقَسَامَةِ، وَهِيَ حِينَمَا يَدْعِي قَوْمٌ أَنَّ
الَّذِي قَتَلَ قَرِيْبَهُمْ بَنُو فُلَانٍ، يَدْعُونَ عَلَى شَخْصٍ مِنْ بَنِي فُلَانٍ بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَتَلَ مَوْرَثًا،
عِنْدَكُمْ شُهُودٌ؟ مَا عِنْدَنَا شُهُودٌ، عِنْدَكُمْ بَيِّنَةٌ؟ مَا عِنْدَنَا بَيِّنَةٌ، طَيِّبٌ كَيْفٌ؟ قَالُوا: لِأَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْمَقْتُولِ عِدَاوَةٌ، تَوْجَدُ عِدَاوَةٌ شَدِيدَةٌ، وَهُوَ يَتَحَلَفُ وَيَتَّهَدُّ إِلَّا وَيَقْتُلُهُ، فَعِنْدَنَا الْآنَ تَهْمَةٌ قَوَّتْ
جَانِبًا يَسْمُونَهُ اللَّوْثَ، الَّتِي هِيَ التَّهْمَةُ هَذِهِ، فَهَذِهِ التَّهْمَةُ قَوَّتْ جَانِبَ الْمُدْعَى، الْمُدْعَى عَلَيْهِ
عِنْدَهُ الْبَرَاءَةُ الْأَصْلِيَّةُ، لَكِنْ تَقَوَّى جَانِبُ الْمُدْعَى بِوُجُودِ التَّهْمَةِ، الْعِدَاوَةِ، التَّهْدِيدِ الَّذِي صَارَ
إِلَى آخِرِهِ.

فَهَذَا الشَّرْعُ يُعْطِي الْمُدْعِينَ يُعْطِيهِمُ الْيَمِينَ، بَلْ كَيْفَ الْيَمِينَ؟ يُقْسِمُونَ خَمْسِينَ يَمِينًا،
يُحْلِفُونَ خَمْسِينَ يَمِينًا، فَإِذَا حَلَفُوا خَمْسِينَ يَمِينًا بِأَنَّ فُلَانًا هُوَ الْقَاتِلُ اسْتَحَقُّوا اسْتِيفَاءَ حَقِّهِمْ
مِنْهُ، فَالشَّرْعُ يُعْطِي الْيَمِينَ لِلْجَانِبِ الْأَقْوَى مِنَ الْمُتَخَاصِمِينَ.



الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ فِي مَوْضُوعِ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ.

"مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا" يَعْنِي عِلْمٌ إِمَّا بِمُشَاهَدَةٍ أَوْ بِسَمَاعٍ أَوْ بِخَبَرِ ثِقَةٍ، أَوْ بِاشْتِهَارِ ذَلِكَ الْمُنْكَرِ، فَلَيْسَ قَوْلُهُ "مَنْ رَأَى" يَعْنِي مُحْضَرًا فِي أَتْلَ لَا تَنْكَرُ مُنْكَرًا إِلَّا إِذَا شَاهَدْتَهُ بِبَصْرِكَ. "فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ" يَعْنِي إِذَا كَانَ صَاحِبُ سُلْطَةٍ عَلَى صَاحِبِ الْمُنْكَرِ، فَهَذَا لَهُ أَنْ يَغَيِّرَ بِيَدِهِ. "فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ" يَعْنِي فَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُ سُلْطَةٍ عَلَى صَاحِبِ الْمُنْكَرِ، لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ.

"فَبِلِسَانِهِ" يَنْكَرُ الْمُنْكَرَ بِاللِّسَانِ، وَلَا يَزِيلُ هَذَا الْمُنْكَرَ بِالْيَدِ أَوْ يَعَاقِبُ صَاحِبَ الْمُنْكَرِ بِالْيَدِ؛ وَإِنَّمَا يَنْكَرُ عَلَيْهِ بِلِسَانِهِ.

"فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ" بِمَعْنَى أَنَّهُ لَوْ أَنْكَرَ هَذَا الْمُنْكَرَ بِلِسَانِهِ لَتَعَرَّضَ لِضَرَرٍ وَخَطَرٍ، مِثْلُ مَا هَذَا الْخَطَرُ وَالضَّرَرُ بِأَنْ يُضْرَبَ، أَوْ يُجْبَسَ، أَوْ يُؤْذَى فِي مَالِهِ، أَوْ يُؤْذَى فِي وَلَدِهِ أَوْ يَتَعَرَّضُ لِلضَّرَرِ الْأَكْبَرِ كَالْقَتْلِ، فَهَذَا لَهُ عَذْرٌ فِي تَرْكِ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ بِاللِّسَانِ، أَمَّا إِنْ كَانَ الْخَوْفُ فَقَطْ مِنْ مَجَرَّدِ الْأَذَى السَّمَاعِيِّ، يَعْنِي يَسْمَعُ مِنْهُ كَلَامًا سَيِّئًا، أَوْ سَيُضْحَكُونَ مِنْهُ، أَوْ يَسْخَرُونَ مِنْهُ، أَوْ يَتَهَكَّمُونَ بِهِ فَهَذَا لَيْسَ بِعَذْرٍ، إِنَّمَا الْعَذْرُ هُوَ التَّعَرُّضُ لَخَطَرٍ عَلَى النَّفْسِ، وَعَلَى الْمَالِ، أَوْ عَلَى الْوَلَدِ وَالْأَهْلِ.

"فَبِقَلْبِهِ" بِمَعْنَى أَنْ يَكْرَهُ الْمُنْكَرَ بِقَلْبِهِ، وَأَنْ يَعِزَّمَ أَنَّهُ لَوْ تَمَكَّنَ مِنْ إِنْكَارِ هَذَا الْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ لَتَكَلَّمَ، أَوْ لَوْ كَانَ عَنْده سُلْطَةٌ لَغَيَّرَ الْمُنْكَرَ بِيَدِهِ.

"وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ" يَعْنِي أَضْعَفُ دَرَجَاتِ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ، لَيْسَ بَعْدَ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ بِالْقَلْبِ دَرَجَةٌ رَابِعَةٌ، فَهَذِهِ دَرَجَاتُ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ، وَهِيَ بِحَسَبِ السُّلْطَةِ وَالصَّلَاحِيَةِ، عِنْدَكَ

سلطة على صاحب المنكر تنكر باليد، ليس عندك إذن تنكر باللسان، تخشى على نفسك
أو مالك أو ولدك فتتنكر بالقلب، وهذا الموضوع لا شك أنه موضوع كبير، لكن الوقت
والمجال لا يتسعان لأكثر من هذا.



الحديث الخامس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَحَاسَدُوا" يَعْنِي لَا يَحْسَدُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، بِمَعْنَى لَا يَكْرَهُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا نِعْمَةً اللَّهُ عَلَى أَخِيهِ، وَلَا يَسْعَى فِي إِزَالَتِهَا أَوْ الْإِضْرَارَ بِهِ، وَهَذَا قَوْلُهُ: "لَا تَحَاسَدُوا" التَّحَاسَدُ تَفَاعُلٌ، يَعْنِي لَا تَحْسَدُ مَنْ حَسَدَكَ، فَضْلًا عَنْ أَنْ تَحْسَدَ مَنْ لَمْ يَحْسَدَكَ، فَإِذَا كَانَ مَنْ حَسَدَكَ لَا تَحْسَدُهُ؛ فَكَيْفَ بِالْمُسْلِمِ الَّذِي لَمْ يَحْسَدَكَ أَصْلًا؟! "لَا تَحَاسَدُوا" والحسد كما قُلْنَا أَنَّ تَكْرَهُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى أَخِيكَ وَأَنَّ تَتَمَنَّى زَوَالَهَا وَأَنَّ تَسْعَى فِي إِزَالَتِهَا، فَلَهُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ:

- أَوَّلًا: أَنَّ تَكْرَهُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ.
 - ثَانِيًا: أَنَّ تَتَمَنَّى زَوَالِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَنْهُ.
 - ثَالِثَةً: وَهِيَ أَخْطَرُهَا أَنَّ تَسْعَى فِي إِزَالَتِهَا.
- والحاسد في الحقيقة كما قَالَ بعض الحكماء أَنَّهُ يَسِيءُ الْأَدَبَ مَعَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، يَقُولُ الْقَائِلُ:

أَيَا حَاسِدًا لِي عَلَى نِعْمَتِي **** أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَاءَتِ الْأَدَبَ

أَسَاءَتِ عَلَى اللَّهِ فِي حُكْمِهِ **** لِأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبَ

فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ صَاحِبُ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ يُعْطِي لِمَنْ يَشَاءُ لِحْكْمَةٍ وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ لِحْكْمَةٍ، فَلَمْ تَكْرَهُ أَنَّ يُعْطِيَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَعْطَاهُ؟!

"وَلَا تَنَاجَشُوا" النَّجَشُ نون مفتوحة والجيم ساكنة، النجش معناه الزيادة في ثمن السلعة مِمَّنْ لا يريد شراءها، وَهَذَا يَكُونُ فِي الْغَالِبِ فِي سَوَاقِ الْمَزَادِ (الحراج) مَنْ يَزِيدُ، فَمِثْلًا أَخِي نَزَلَ سَيَارَةً لِلْسَوَاقِ فِي الْمَزَادِ، وَهِيَ سَعَرُهَا عَشْرُونَ أَلْفًا، لَكِنْ أَنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَنْفَعُ أَخَاكَ، تَرِيدُهُ أَنْ يَبِيعَهَا بِثَلَاثِينَ، وَهِيَ سَعَرُهَا الْمَعْتَادُ الَّذِي مِثْلُ هَذِهِ السَّيَارَةِ بَعَشْرِينَ، فَلَمَّا نَزَلْتُمْ السَّوْاقَ اتَّفَقْتُمْ أَنْتَ وَإِيَّاهُ، وَهِيَ قِيَمَتُهَا لَمْ تَصِلْ إِلَى عَشْرِينَ، فَيَقُومُ هَذَا الشَّخْصُ - مَاذَا يَفْعَلُ؟- يَقُولُ: "وَاحِدَ وَعَشْرُونَ"، وَهُوَ لَا يَرِيدُ أَنْ يَشْتَرِيَهَا، لَكِنْ يَرِيدُ أَنْ يَرْفَعَ الثَّمَنَ؛ حَتَّى يَسْتَفِيدَ أَخُوهُ أَوْ صَدِيقُهُ.

قَامَ وَاحِدٌ وَقَالَ: "وَاحِدَ وَعَشْرُونَ وَخَمْسَ مِئَةٍ"، قَالَ هَذَا: "اثْنَيْنِ وَعَشْرُونَ"، كُلٌّ قَلِيلٌ يَرْفَعُ وَهُوَ لَا يَرِيدُ الشَّرَاءَ، هُوَ يَرِيدُ أَنْ تَنْفَعُ أَخَاهُ، فَهَذَا مِنَ الْعَمَلِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، **"لَا تَنَاجَشُوا"** لَا تَرْفَعُوا السَّلْعَةَ عَنْ ثَمَنِهَا الْمَعْتَادِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَنْفَعُوا أَخَاكُمْ أَوْ قَرِيبَكُمْ أَوْ صَدِيقَكُمْ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.

وَهَذَا حَرَامٌ، وَأَيْضًا الْحَالَةُ الْعَكْسِيَّةُ أَيْضًا حَرَامٌ، وَهِيَ أَنْ تُنْقِصَ السَّلْعَةَ، أَنْ تُنْقِصَ مِنْ حَقِّهَا الْمَعْتَادِ، مِثْلًا وَاحِدٌ أَدْخَلَ السَّيَارَةَ إِلَى الْمَعْرُضِ إِلَى سَوَاقِ الْمَزَادِ، وَأَهْلُ السَّوْاقِ -الَّذِينَ هُمْ ثَلَاثٌ أَوْ أَرْبَعٌ مَجْمُوعَاتٍ- عَرَفُوا أَنَّ هَذِهِ السَّيَارَةَ تَسَوَّى عَشْرِينَ، فَقَالُوا: "دَعُونَا نَبْخَسُ بِهَا تَحْتَ لَكِي لَا تَصِلْ إِلَى عَشْرِينَ"، وَتَمَالَّوْا وَاتَّفَقُوا أَنَّهُمْ لَا يَرْفَعُونَهَا عَنْ سِتَّةِ عَشَرَ أَلْفًا، سِتَّةَ عَشَرَ، سِتَّةَ عَشَرَ، مَا أَحَدٌ رَفَعَ، سَكْتُوا، كُلُّهُمْ اتَّفَقُوا وَسَكْتُوا هَذَا أَيْضًا حَرَامٌ، فِيهِ إِضْرَارٌ بِصَاحِبِ السَّيَارَةِ، فَالنَّجَشُ:

- الَّذِي هُوَ الزِّيَادَةُ عَلَى الثَّمَنِ مِمَّنْ لَا يَرِيدُ الشَّرَاءَ حَرَامٌ،
- وَأَيْضًا نَبْخَسُهَا عَنْ حَقِّهَا مِنْ بَابِ الْإِضْرَارِ بِهِ أَيْضًا حَرَامٌ.

"وَلَا تَبَاغَضُوا" لَا يَبْغِضُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، بَلَّ تَحَابُوا، **"لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا"** وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، وَضَدُ الْحُبِّ التَّبَاغُضُ، وَالْمَعْنَى لَا تَتَبَاغَضُوا وَلَا تَأْتُوا بِأَسْبَابِ الْبَغْضِ، الْبَغْضُ يَكُونُ نَتِيجَةً لِلظُّلْمِ، نَتِيجَةً لِلْكِبَرِ، نَتِيجَةً لِلْحَسَدِ، نَتِيجَةً لِلْبَدْعِ وَالْأَهْوَاءِ الَّتِي تَوْرَثُ الْبَغْضَاءَ فِي الْمَجْتَمَعِ، بَدَلُ مَا يَكُونُوا مَجْتَمِعِينَ عَلَى السُّنَّةِ، هَذِهِ فَرْقَةٌ، وَهَذِهِ فَرْقَةٌ، وَهَذِهِ فَرْقَةٌ، فَتَوْرَثُ الْأَهْوَاءُ، تَوْرَثُ التَّبَاغُضَ وَالتَّدَابُرَ.

"وَلَا تَدَابَرُوا" يَعْنِي لَا تَتَهَاجَرُوا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ أَخَاهُ أَعْطَاهُ دَبْرَهُ وَانصَرَفَ عَنْهُ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَهَذَا التَّدَابِيرُ النَّاتِجُ عَنِ الْهَجْرِ مَاذُونٌ فِيهِ لِمُدَّةٍ مُعَيَّنَةٍ وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، "لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ"، فَإِذَا صَارَتْ فِيْ خُصُومَةٍ عَلَى مَالٍ أَوْ عَلَى كَذَا فَلِمُدَّةٍ لَكَ فِي التَّهَاجُرِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ؛ حَتَّى تَسْكُنَ النَّفْسَ وَيَذْهَبَ مَا فِيْهَا، لَكِنْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لَا يَجُوزُ اسْتِمْرَارُ الْهَجْرِ، لَكِنْ إِذَا كَانَ عَلَى أَمْرِ دِينِيٍّ مِثْلًا أَخَوْكَ صَارَ يَتَعَاطَى الْخَمُورَ أَوْ الْمَخْدِرَاتِ أَوْ أَمُورًا مَنكَرَةً وَسَيِّئَةً أَوْ قَطَعَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ أَوْ شَيْئًا، وَمَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا الْهَجْرُ فَاهْجُرْهُ؛ حَتَّى يَتَأَدَّبَ وَيَرْعُوِي وَيَقْلَعُ عَمَّا هُوَ فِيهِ، وَلَوْ زَادَتْ الْمُدَّةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

"وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ" مِثْلًا إِذَا جَاءَ الْمُشْتَرِي إِلَى الْبَائِعِ وَاشْتَرَى مِنْهُ سَلْعَةً، اشْتَرَى مِنْهُ سَيَّارَةً، قَالَ لَهُ الْبَائِعُ: "جَرِّبِ السَّيَّارَةَ دَعْهَا عِنْدَكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ جَرِّبَهَا، وَإِذَا أَعْجَبْتِكَ تَمَّ الْبَيْعُ عَلَى مَا اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ"، اتَّفَقُوا بِعَشْرِينَ أَلْفًا، فَخِلَالِ هَذِهِ الْمُدَّةِ -ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ- لَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَأْتِيَ إِلَى الْمُشْتَرِي وَتَقُولَ لَهُ: "أَنَا عِنْدِي سَيَّارَةٌ أَحْسَنَ مِنْهَا، وَأَعْطِيكَ إِيَّاهَا أَرْخَصَ"، إِمَّا سَيَّارَةً أَحْسَنَ مِنْهَا أَعْطِيكَ بِنَفْسِ السَّعْرِ، وَإِمَّا عِنْدِي سَيَّارَةٌ مِثْلَهَا تَمَامًا وَأَعْطِيكَ إِيَّاهَا أَرْخَصَ، لَا يَجُوزُ هَذَا، هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: "وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ".

أَمَّا إِذَا تَمَّ الْبَيْعُ كَالْمِثَالِ الَّذِي مَعْنَا، تَمَّتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَتَمَّ الْبَيْعُ وَأَعْجَبْتَهُ السَّيَّارَةَ وَتَمَّ الْعَقْدُ، وَتَعَرَّضَ عَلَيْهِ سَلْعَةٌ عِنْدَكَ فَلَا إِشْكَالَ جَائِزَ هَذَا، لَكِنْ فِي زَمَنِ الْخِيَارِ لَا يَجُوزُ، أَوْ مِثْلًا أَثْنَاءَ التَّبَايَعِ وَرَضِيَ الطَّرْفَانِ بِالثَّمَنِ وَرَضِيََا بِالسَّعْرِ، مَا عَادَ بَاقِيًا إِلَّا إِتْمَامُ الْعَقْدِ، تَأْتِي تَقُولُ لَهُ: "أَنَا عِنْدِي أَحْسَنَ مِنْ هَذَا"، أَيْضًا هَذَا لَا يَصَحُّ.

وَهَكَذَا كَمَا تُهَيَّي عَنِ الْبَيْعِ تُهَيَّي عَنِ الشِّرَاءِ، شِرَاءَ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَيْضًا، فَمِثْلُ الصُّورَةِ الَّتِي مَعْنَا -الَّتِي قُلْنَا السَّيَّارَةَ يَجْرِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ-، لَا يَجُوزُ لِوَاحِدٍ أَنْ يَذْهَبَ لِلْبَائِعِ وَيَقُولَ لَهُ: "كَمْ أَعْطَاهُ فَلَان؟ أَعْطَاكَ عَشْرِينَ أَنَا أَعْطَيْكَ اثْنِينَ وَعَشْرِينَ"، لَا يَجُوزُ هَذَا، لَا تَضُرُّ بِالْبَائِعِ وَلَا تَضُرُّ بِالْمُشْتَرِي كُلُّ هَذَا حَرَامٌ؛ لِأَنَّ هَذَا يُؤْدِي إِلَى بَيْعِ بَعْضٍ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَخُطْبَةُ بَعْضٍ عَلَى خُطْبَةِ بَعْضٍ، هَذَا يُؤْدِي إِلَى التَّبَاغُضِ وَإِلَى التَّدَابِيرِ بَعْدَاوَاتٍ، وَالشَّرْعُ مَنَعَ أَسْبَابَ الْعَدَاوَاتِ وَبِالذَّاتِ فِي بَابِ الْبُيُوعِ، الْكَثِيرُ مِنَ الْبُيُوعِ الْمَنْهِي عَنْهَا تَجِدُ أَنَّ السَّبَبَ فِيهَا يَعُودُ إِلَى أَنَّهَا تَسَبَّبَ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ بَيْنَ النَّاسِ، وَالْبُيُوعُ وَالشِّرَاءُ النَّاسُ يَحْتَاجُونَ كُلَّ يَوْمٍ

وليلة، لا يستغنون عن البيع والشراء، فإذا دخلتها أسباب العداوات والخصومات لا تكاد تخلو العلاقات من عداوة وخصومة.

"وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا" تأكيد على ما مضى؛ لأن النهي عن ذلك كله؛ لأنه لا يليق هذا بين الأخوة، لا يليق أن يكون بين الأخوة التحاسد والتناجش والتباغض والتدابير.

"وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا" يعني إخوان حق وحقيقة إخوان في الدين، وعلاقة الأخ بأخيه يفترض أن تكون مبنية على المحبة، وعلى التصافي، وعلى إرادة الخير، وعلى التواصي، والتراحم، هذه هي الأخوة الحقيقية، ليست هي أخوة فقط باللسان "المُسْلِمُونَ إخوة"، ولكن الواقع العملي على خلاف ذلك، لا يصح هذا، **"الْمُسْلِم أَخُو الْمُسْلِم"** ولو لم يكن بينهم سبب ولا نسب إلا الإسلام.

"لَا يَظْلِمُهُ" في ماله ولا عرضه ولا نفسه.

"وَلَا يَخْذُلُهُ" في موطن يحتاج فيه إلى نصره وأنت تستطيع أن تنصره، إذن تنصره لا تخذله، أما إذا كان عدم نصرك له لعجزك عن النصر فأنت معذور شرعاً، النبي ﷺ يمر بالمستضعفين المعذبين في مكة، لا يستطيع أن يفعل لهم شيئاً، هل كان آثماً بذلك؟ معاذ الله، لأنه لا يستطيع أن ينصرهم، وهكذا اليوم نحن نسمع بمشاكل ومصائب تنزل بإخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، لا نستطيع أن ننصرهم، لا عسكرياً ولا سياسياً وربما في بعض الحالات؛ حتى ولا اقتصادياً، هل نأثم؟ لا نأثم: **﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا﴾** [البقرة: ٢٨٦].

فأنت تأثم على الشيء الذي يجب عليك وتستطيعه ثم تتركه بلا عذر شرعي، لكن فيه ناس عندهم حماس، ولكن حماس بدون قيود شرعية، عندهم حماس ولكن بدون تقيد بضوابط الشرع، فيوجبون على المسلمين ما لا يجب عليهم، ويورطون الكثير من الشباب - للأسف - في مغامرات يعود وبالها عليهم خطراً وضرراً وهلاكاً، ومصائب يجرونها على البلد تحت شعار نصره المستضعف، الله قال: **﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [الأنفال: ٧٢].

فإذن المعتدي على المسلم بينك وبينه عهد أنك لا تعتدي عليه ولا يعتدي عليك، هذا مانع يمنعك من نصر أخيك المسلم؛ الذي اعتدى عليه هذا الكافر الذي بينك وبينه عهد.

"وَلَا يَكْذِبُهُ" وفي ضبط: "وَلَا يَكْذِبُهُ"، "وَلَا يَكْذِبُهُ" يَعْني إِذَا تَكَلَّمْتُ مَعَهُ كَن صَادِقًا، إِذَا تَعَامَلْتُ مَعَهُ كَن صَادِقًا، لَا تُظْهَرُ لَهُ شَيْئًا وَتُخْفِي عَنْهُ شَيْئًا، هَذِهِ صِفَات أَهْلِ النِّفَاقِ، لَيْسَتْ صِفَات أَهْلِ الْإِيمَانِ.

"وَلَا يَخْقِرُهُ" وَلَوْ كَانَ فَقِيرًا، وَلَوْ كَانَ ضَعِيفًا، وَلَوْ كَانَ مِنْ طَبَقَةِ عِنْدَ النَّاسِ تَعْتَبَرُ دُونِيَّةً لَا تَحْقِرُ أَخَاكَ الْمُسْلِمَ، كَيْفَ تَحْقِرُ أَخَاكَ الْمُسْلِمَ؟

❖ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوَّلُ شَيْءٍ كَرَّمَهُ مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. هَذِهِ مِنْ جِهَةٍ.

❖ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَرَّفَهُ بِالْإِسْلَامِ وَالتَّوْحِيدِ، وَجَعَلَ لَهُ مِنَ الْحَقُوقِ الشَّيْءَ الْعَظِيمَ، "إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ".

إِذْنِ الشَّرِيعَةِ جَاءَتْ كَرَّمَتْ هَذَا الْإِنْسَانَ مَا دَامَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، كَرَّمَتْهُ مِنْ جِهَةٍ كَوْنُهُ أَدَمِيًّا أَصْلًا مِنْ جِهَةٍ، لَكِنْ كَرَّمَتْهُ تَكْرِيمًا خَاصًّا بِالنَّظَرِ إِلَى كَوْنِهِ مُسْلِمًا مُؤْمِنًا، فَكَيْفَ تَحْقِرُ وَتُسْتَهْزِئُ بِمَنْ عَظَّمَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا؟!

"التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ" طَبْعًا الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا التَّنْبِيهِ عَلَى أَعْمَالِ الْقُلُوبِ، أَنَّ هِيَ الْأَصْلُ لأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، فَإِذَا وُجِدَتْ الْأَعْمَالُ فِي الْجَوَارِحِ لَكِنْ لَيْسَ فِي إِيْمَانٍ فِي الْقَلْبِ، صَارَتْ هَذِهِ مِثْلُ أَعْمَالِ الْمُنَافِقِينَ، لَكِنْ إِذَا وَجَدَ الْإِيْمَانُ فِي الْقَلْبِ فَلَا يَدُ أَنَّ يَوْجَدُ وَأَنَّ يَظْهَرُ أَثَرُ هَذَا الْإِيْمَانِ عَلَى الْجَوَارِحِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَفْهَمُ هَذَا الْحَدِيثَ فَهَمًّا خَاطِئًا، "التَّقْوَى هَاهُنَا" يَقُولُ: "مَا دُمْتُ أَنَا مُؤْمِنًا بِاللَّهِ، وَمُؤْمِنًا بِالرَّسُولِ يَكْفِي، لَا يَحْتَاجُ أَنَّ أَصْلِي، لَا يَحْتَاجُ أَنَّ أَصُومَ، لَا يَحْتَاجُ أَنَّ أَحْجَ، لَا يَحْتَاجُ أَنَّ أَصْلَ رَحْمِي، أَبَرَّ بِوَالِدِي"، لِمَاذَا؟ قَالَ: "التَّقْوَى هَاهُنَا".

لَا، لَوْ كَانَتْ التَّقْوَى هَاهُنَا فَعَلًا لَظْهَرَ أَثَرُهَا عَلَى اللِّسَانِ عَلَى الْجَوَارِحِ، لَوْ كَانَتْ التَّقْوَى فِي الْقَلْبِ لَأَثَرَتْ التَّوْحِيدَ وَأَثَرَتْ الصَّلَاةَ، وَأَثَرَتْ الْبِرَّ، وَأَثَرَتْ الْعِفَافَ إِلَى آخِرِهِ.

"بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ" يَعْنِي يَكْفِيكَ شَرًّا أَنْ يُهْلِكَ وَأَنْ يُوبِقَكَ فِي جَهَنَّمَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعَكَ شَرٌّ ثَانٍ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، هَذَا مَعْنَى بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنْ كَذَا، بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنْ كَذَا يَعْنِي تَكْفِيهِ هَذِهِ الْخَصْلَةُ، لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا هَذِهِ الْخَصْلَةُ مِنَ الشَّرِّ لَكَفَتْهُ أَنْ تَكُونَ مُهْلِكَةً لَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

مَا هِيَ هَذِهِ الْخَصْلَةُ الَّتِي تَكْفِي فِي إِهْلَاكَكَ؟ قَالَ: أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فَلَوْ عِنْدَهُ مَجْمُوعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ، وَلَكِنْ عِنْدَهُ هَذِهِ الْخَصْلَةُ مِنْ خِصَالِ الشَّرِّ وَهِيَ احْتِقَارُ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ لَكَفَتْهُ إِهْلَاكًا لَهُ، وَمَعَ هَذَا الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ وَالتَّحْذِيرِ الشَّدِيدِ مِنَ الْاِحْتِقَارِ إِلَّا أَنَّهُ - لِلْأَسَفِ - الْإِنْسَانُ كَثِيرًا مَا يَطْغَى وَيَتَجَبَّرُ إِذَا أَعْطَاهُ اللَّهُ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا، أَعْطَاهُ مَا لَا يَحْتَقِرُ الْفُقَرَاءَ، أَعْطَاهُ مَنْصَبًا يَحْتَقِرُ الْمَرَاغِعِينَ وَالْمُرُؤُسِينَ الَّذِينَ تَحْتَ يَدِهِ.

لَا بُدَّ أَيْهَا الْأَخُوَّةُ أَنْ نَرِي أَبْنَاءَنَا، نَحْنُ عِنْدَنَا نَرِي وَنَلَاظِحُ أَنْ بَعْضُ أَوْلَادِنَا وَأَبْنَائِنَا وَطِلَابِنَا الصَّغَارِ عِنْدَهُمْ احْتِقَارٌ لغيرهم، وَالْمَعْدَرَةُ مِنْ بَعْضِ الْأَخُوَّةِ، مِثْلًا هُوَ سَعُودِي وَهَذَا فَلَانِ أَجْنَبِيٍّ، عَامِلٌ كَذَا كَذَا، مَا دَامَ أَنَّهُ أَجْنَبِيٌّ يَنْظُرُ إِلَيْهِ نَظْرَةً دُونِيَّةً، نَظْرَةً فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْاِحْتِقَارِ وَالْاِزْدِرَاءِ وَهَذَا لَا يَجُوزُ.

لَا يَجُوزُ هَذَا الشَّيْءُ أَبَدًا، بَلْ نَرِيهِمْ عَلَى احْتِرَامِ هَذَا الْمُسْلِمِ؛ وَحَتَّى لَوْ كَانَ كَافِرًا نَرِيهِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَظْلَمُهُ، وَلَا يُؤْذِيهِ بِشَيْءٍ أَذْنُ فِيهِ الشَّرْعُ، بِالنِّسْبَةِ لِلْكَافِرِ الشَّرْعُ أَذْنُ لَكَ أَنْتَ إِذَا لَقَيْتَهُ لَا تَسْلَمُ عَلَيْهِ ابْتِدَاءً، وَلَكِنْ تَظْلَمُهُ، تَضْرِبُهُ، تَلْعَنُهُ، تَسْبِيهِ، تَشْتَمُهُ، تَظْلَمُهُ مِثْلًا فِي أَجْرَتِهِ؛ هَذَا لَا يَجُوزُ حَتَّى لَوْ كَانَ كَافِرًا.

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِأَخِيكَ الْمُسْلِمِ مِنْ أَيِّ بَلَدٍ كَانَ، جَاءَ مِنْ بَلَدٍ غَنِيٍّ أَوْ مِنْ بَلَدٍ فَقِيرٍ، فَمَا يَجُوزُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ نَظْرَةً دُونِيَّةً، وَنَظْرَةً احْتِقَارًا، نَحْنُ إِنْ كَانَ أَعْطَانَا اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا شَيْئًا مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ هَذَا فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ، يَجِبُ أَنْ نَقَابِلَهَا بِالْخُضُوعِ وَالتَّوَاضُّعِ لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا وَبِشُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ؛ حَتَّى تَبْقَى وَتَزْدَادَ، لَا تَكُونَ سَبَبًا لِلطَّغْيَانِ وَالْكَبْرِيَاءِ وَالْعَجَبِ بِالنَّفْسِ، هَذَا مِنْ أَسْبَابِ الْهَلَاكِ، مِنْ أَسْبَابِ زَوَالِ النِّعَمِ، فَنَرِي أَبْنَاءَنَا عَلَى احْتِرَامِ جَمِيعِ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ، مِنْ أَبْنَاءِ الْقَبِيلَةِ، مِنْ أَبْنَاءِ الدِّيَرَةِ، مِنْ أَبْنَاءِ الْمَنْطَقَةِ، مِنْ أَبْنَاءِ الْبَلَدِ، مِنْ خَارِجِ الْبَلَدِ تَمَامًا.

نَحْنُ كُلُّنَا أَخُوَّةٌ فِي اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا "كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ" ﴿إِنَّمَا

الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

فغرس هَذَا فِي قُلُوبِ أَبْنَائِنَا نَرِيهِمْ عَلَى هَذَا الشَّيْءِ، لِلْأَسَفِ حَتَّى بَعْضُ الْأَبْنَاءِ عَادَ يَسْخَرُ وَيَزْدَرِي وَيَحْتَقِرُ أَسْتَاذَهُ فِي الْمَدْرَسَةِ إِذَا كَانَ مِنْ جَنْسِيَّةٍ غَيْرِ سَعُودِيَّةٍ، إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ تَصِلُ، نَحْنُ نَقُولُ: لَا تَحْتَقِرْ لَا عَامِلَ نِظَافَةٍ، وَلَا بَائِعًا فِي بَقَالَةٍ، وَلَا أَسْتَاذًا وَلَا طَبِيبًا وَلَا غَيْرَهُ، لَكِنْ هَذِهِ الْخُصْلَةُ -لِلْأَسَفِ- قَدْ يُنَمِّيهِمَا بَعْضُ الْأَبَاءِ، الْوَلَدَ يَرَى أَبَاهُ أَصْلًا وَهُوَ يَحْتَقِرُ وَيَزْدَرِي هَذَا الشَّخْصَ، فَيَتَرَبَّى الْابْنُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْمَرْذُولَةِ، فَيَعَامِلُهُمْ بِسَخَرِيَّةٍ، يَظْلِمُهُمْ حَقُوقَهُمْ، يَسِبُّ، يَشْتُمُّ، يَلْعَنُ إِلَى آخِرِهِ.

فَهَذَا الْحَدِيثُ إِذَا مَا دَرَسْنَاهُ وَطَبَقْنَاهُ فِي وَاقِعِنَا فَمَا فَائِدَةُ أَنَا نَجْلِسُ نَدْرُسُ؟ الْفَائِدَةُ أَنَّ نَتَعَلَّمَ، فَهَذَا الْحَدِيثُ يَأْمُرُنَا بِالتَّوَاضُّعِ لِإِخْوَانِنَا، وَعَدَمِ احْتِقَارِهِمْ، يَأْمُرُنَا بِإِكْرَامِهِمْ وَاحْتِرَامِهِمْ، إِذِنْ نَتَعَلَّمُ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَعْلَمَ وَنَطْبِقَ هَذَا الشَّيْءَ فِي أَنْفُسِنَا.

كَذَلِكَ أحيانًا تَدْخُلُ عَلَيْنَا هَذِهِ الْأَخْلَاقُ -لِلْأَسَفِ- بِطَرِيقَةِ النِّكْتَةِ وَالِدُّعَابَةِ، فَتَجِدُ الْوَلَدَ أَوْ الْابْنَ عِنْدَهُ مَخْزُونٌ عَشْرِينَ ثَلَاثِينَ نِكْتَةً، يَعْغِيهِ الْكَلَامُ الْمُضْحِكُ هَذَا، كُلُّهَا نِكَاتٌ عَلَى الْبَلَدِ الْفِلَاسِيِّ، وَلَا الْقَبِيلَةِ الْفِلَانِيَّةِ، وَلَا الْمُنَاطِقَةِ الْفِلَانِيَّةِ، فَتَرْسُخُ مِنْ حَيْثُ لَا نَشْعُرُ تَرْسُخَ فِي قُلُوبِنَا اِزْدِرَاءَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، مِنْ جَنْسٍ مُعَيَّنٍ، وَلَا لَوْنٍ مُعَيَّنٍ، وَلَا طَبَقَةٍ مُعَيَّنَةٍ أَوْ كَذَا. فَيَجِبُ الْحَذَرُ مِنْ هَذَا أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ، نَنْتَبِهْ مِنْ هَذَا؛ حَتَّى لَا يَنْشَأَ أَبْنَاؤُنَا عَلَى هَذِهِ الْخُصَالِ الَّتِي تَهْلِكُهُمْ فِي جَهَنَّمَ "بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ" تَحْقِرُهُ مِنْ أَجْلِ مَاذَا؟

- مِنْ أَجْلِ الْمَالِ؟ الْمَالُ بِيَدِ اللَّهِ يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَيُمْنَعُهُ مَنْ يَشَاءُ،
- مِنْ أَجْلِ الْعِلْمِ؟ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْمَعْلَمُ، اللَّهُ هُوَ الْمَفْهُومُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- مِنْ أَجْلِ النِّسْبِ؟ النِّسْبُ لَيْسَ لَكَ أَيُّ اخْتِيَارٍ فِيهِ، أَنْتَ لَمْ تَخْتَرْ أَبَاكَ وَلَا أُمَّكَ، وَسَيَأْتِينَا أَنَّ "مَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يَسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ"، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]. الْأَنْسَابُ قُصِدَ بِهَا التَّعَارُفُ لَا التَّفَاخُرَ وَالتَّكْبِيرَ.

"بِحَسْبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ" يَعْنِي لَا يَجُوزُ أَنْ تَعْتَدِيَ عَلَى أَخِيكَ الْمُسْلِمِ فِي دَمِهِ، بَأَنْ تَقْتُلَهُ بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ، وَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَعْتَدِيَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَعْتَدِيَ عَلَى عَرْضِهِ بِسَبٍّ أَوْ شَتْمٍ أَوْ لَعْنٍ أَوْ خِيَانَةٍ فِي أَهْلِهِ أَوْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، هَذَا كُلُّهُ لَا يَجُوزُ كُلُّهُ حَرَامٌ، وَكَمَا تَقَدَّمَ أَيْضًا حَتَّى الْكَافِرَ لَا يَجُوزُ الْعُدَاوَانِ عَلَيْهِ لَا فِي دَمِهِ وَلَا مَالِهِ وَعَرْضِهِ إِلَّا فِي حُدُودٍ بَيَّنَّهَا الشَّرْعُ فَقَطْ.

فهذا الحديث من أعظم الأحاديث التي نحتاجها دائمًا، يحتاجها الخطباء الوعاظ الدعاة المعلمون، يثبتونها في الأمة، يحفظونها، يحفظونها ويشرحونها ويبينون معانيها للناس؛ حتى نتربى عليها وننشأ عليها، فيكون من جراء ذلك أن يكون المجتمع مجتمعًا متماسكًا مترابطًا في ذات الله، بعيدًا عن أسباب الفرقة والاختلاف والنزاع والظلم والفجور والفسوق.

الحديث السادس والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَخَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ" رواه مسلم بهذا اللفظ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ" هذا فيه الحث على تنفيس الكربات عن المسلمين، والتنفيس معناه الإزالة أو التخفيف، وهكذا أيضاً من فرج عن مسلم كربة، فالتفريج معناه إزالة هذه الكربة، والتنفيس إما إزالتها بالكلية أو التخفيف منها.

وهذه الكرب تختلف، قد تكون بسبب دين، أو بسبب عدم وظيفة، أو بمشكلة عائلية، أو غير ذلك من الأمور التي تسبب الغم والهم والضييق.

"مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ" طبعاً لا مقارنة بين كربات الدنيا وكربات الآخرة، فكربات الآخرة أعظم بكثير من كربات الدنيا، مهما بلغت كربات الدنيا فليست بشيء عند كربات الآخرة.

فهذه تجارة عظيمة، أن تنفس عن مؤمن كربة، أو تخفف عنه كربة، فيفرج الله عنك وينفس الله عنك كربة من كرب يوم القيامة، وقد تكون هذه الكربة عند الموت، أو وقد تكون الكربة في القبر، أو وقد تكون الكربة في أرض المحشر، أو في نار جهنم فتخرج منها إلى الجنة، هذا فيه الحث على المسارعة والمبادرة وعدم التلكؤ والتأخر عن تنفيس الكربات عن إخوانك

من المسلمين، فإن استطعت أن تنفس كاملة فهذا خير عظيم وإن لم تستطع فعلى الأقل أن تخفف عنه من تلك الكربة.

وأحياناً - يا أخي - ترى تنفيس الكربة لا يحتاج منك شيئاً، يحتاج منك إلى كلمة طيبة، أحياناً التنفيس يكون بكلمة طيبة، يأتيك شخص وهو قد يئس تماماً أن تُحلَّ هذه المشكلة التي هو فيها، أنتَ ليس في يدك مال تقضي دينه، ولا عندك جاه تستطيع أن تتوسط عند مَنْ عنده الشأن، ولكن تعطيه كلمة طيبة، مثلاً تُحسِّن ظنَّه بالله جل وعلا، تذكره باليسر الذي وعد الله به، فقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦].

فهذا التذكير وهذه الموعظة الطيبة وهذه الكلمة الطيبة قد تغيّر نفسيته تماماً، فتجده ينبسط ويستأنس ويفرح وكأن جبلاً كان على ظهره ثم زال، وأنتَ مجرد أن أعطيته، نفست عنه الكربة هذه بالكلام، فيخرج من عندك مسروراً ومبسوطاً ومرتاح البال ويدعو لك، ما كلّفك هذا العمل لا مالاً ولا ذهاباً ولا إياباً ولا شيئاً، فتنفيس الكربة لا تظن فقط أنه لا بُدَّ أن يكون محصوراً بشيء مادي مالي أو نحوه، أحياناً التنفيس يحتاج منك فقط إلى كلمة طيبة. تأتي وهو مريض يعاني من المرض ومغموم من هذا المرض فتذكره بالحديث: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ"، و"إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ"، وأنَّ هذا المرض كفارة للسيئات رفعة للدرجات، ممكن هاتان الكلمتان فقط تزيلان عنه الكثير من تلك الآلام وتلك الغموم وتلك الهموم إلى آخره.

وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يسرت على معسر مثلاً شخص أنتَ تطلبه مبلغاً من المال، تطلبه ألف ريال على أنه يسدده في آخر الشهر مع الراتب، جاء الراتب ولكن ما استطاع أن يسدد، عليه ديون كثيرة، عليه حقوق كثيرة، عليه طلبات كثيرة فما استطاع، يا فلان أين حقي؟ أين مالي الذي أطلبك به؟ قال: والله ما عندي، وأنتَ تعرف أنه صادق أنه ما عنده، فهو الآن في عُسْر عظيم، أنتَ وغيرك تطالبونه بحقوق لكم، وهو لا ينكر هذه الحقوق، بل معترف بها لكن ليس في يديه حيلة، فمن الفرص التي هيأها الله لك أن تنال بها الأجر والثوبة من الله سبحانه وتعالى، وأن تفوز بهذا الوعد الكريم أن تيسر عليه، كيف تيسر عليه؟ مثلاً:

• أن تسقط عنه الدين كله لوجه الله، هذا خيار، أن تسقط عنه الدين كله لوجه الله،

- أو أن تخفف عنه من الدين تقول: أنا أطرح عنك نصف الدين، أنا كنت أطالبك بألف أعطني خمسمائة، وعفا الله عن الباقي،
- أو خيار ثالث أن تؤجل الموعد، بدل ما تخرجه إلى المحكمة والشرطة أنه ما سدّدك هذا الشهر فتعطيه فرصة، تقول له: بعد شهرين إن شاء الله بعد ثلاثة أشهر، فعندك درجات من التيسير وكلها يصدق عليها أنها تيسير، تيسر عليه بإسقاط الدين كله، تيسر عليه بإسقاط بعضه، تيسر عليه بتأخير المهلة، كلها مجالات مفتوحة بين يديك، وكلها يصدق عليها أنها تيسير على هذا المعسر.

"وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" تستر مسلماً اطلعت منه على عيب، على عورة، معصية، إثم، تصرف غير لائق، شيء اطلعت عليه وهو يستتر به ويحاول أن يخفيه عن الناس، فإذا ستر عليه، إذا سترت عليه ستر الله عليك، أنت أيضاً مليء بالعيوب ومليء بالأخطاء، وكلنا مليئون بالعيوب والأخطاء، ولكن نعيش بستر الله عز وجل، ولو هتك الله عنا هذا الستر لافتضحنا، نسأل الله أن يسترنا وإياكم بستره الجميل في الدنيا والآخرة، وألاً يفضحنا في الدنيا ويوم العرض، فتستر أخاك المسلم، يستر الله في الدنيا والآخرة.

وإذا فضحته تتبع الله عورتك وفضحك، الجزء من جنس العمل، فلا تفرح بزلة أخيك، ولا تفرح بالاطلاع على عورته، كن كأنك ما سمعت، وكن كأنك ما رأيت، واستر عليه وارح ما عند الله عز وجل، ولا تجلس ثم عليه تقول له: أنا شاهدتك وعارف أنك تفعل كذا وكذا، وتبدأ ثم عليه، بل اجعل هذا العمل بينك وبين الله ترجو ثوابه من الله سبحانه وتعالى، لكن إذا اقتضى الأمر أن تكشفه من باب النصيحة له فلا حرج بينك وبينه، ما هتكت ستره، وهذا في حق الشخص الذي لا يجاهر بالفسوق والفجور والعصيان والمنكرات، هذا له شأن ثانٍ، لكن هذا شخص ظاهره الاستقامة وظاهره الستر والسلامة من هذه الأشياء، فالستر مطلوب، لكن إذا كان شخصاً معروفاً بالشر ويمثل خطراً على المجتمع؛ فهذا لا يصح أن يُستر عليه، يعني واحد عندكم في القرية ولا في البلدة يبيع مخدرات أو يؤوي إرهابيين، أو

واضع له بيتًا -والعياذ بالله- للدعارة والفواحش والمنكرات، أو جعل بيته مكانًا للميسر والقمار والأشياء هذه؛ فهذا لا يصلح أن يُسترَ عليه، هذا يمثل خطرًا على كلِّ أهل البلد، يمثل خطرًا على أمن الدولة، أمن الوطن، فالستر عليه هذا من باب التعاون على الإثم والعدوان، وليس من الستر المحمود المطلوب شرعًا.

"وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ" انظر الله عز وجل يكون في عونك وإذا كان الله في عونك فأبشر بكل خير، **"وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"**، ما دمت تسعى في عون إخوانك فالله عز وجل يسعى في حاجاتك، وإذا سعى الله في حاجاتك فُضيت وتيسرت، ونلت ما تتمنى وفوق ما تتمنى، ثمَّ جاء في الحديث الحثُّ على طلب العلم.

"وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ".

□ سَلَكَ طَرِيقًا حَسِيًّا يَعْنِي جِئْتَ مِنْ بَيْتِكَ إِلَى الْمَسْجِدِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ، هَذَا الطَّرِيقَ الَّذِي مَشِيَّتَهُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى الْمَسْجِدِ يَكْفِيكَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِأَنْ يَجْعَلَ هَذَا الطَّرِيقَ طَرِيقًا لَكَ إِلَى الْجَنَّةِ،

□ أَوْ سَلَكَ طَرِيقًا مَعْنَوِيًّا مِنْ طَرُقِ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ، مِثْلَ دَرَسٍ مِنَ الدَّرُوسِ يُنْشَرُ عَنِ الْإِذَاعَةِ فَأَنْتَ جَالِسٌ فِي بَيْتِكَ مَا ذَهَبْتَ وَلَا جِئْتَ، وَشَغَلْتَ هَذَا الْبَرْنَامَجَ وَقَمْتَ تَسْمَعُ هَذَا الدَّرْسَ الْمَفِيدَ، هَذَا طَرِيقٌ مِنْ طَرُقِ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ، طَرِيقَةٌ أُخْرَى لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ أَنْ تَمْسُكَ كِتَابًا وَتَقْرَأَ فِيهِ، هَذَا طَرِيقٌ مِنْ طَرُقِ التَّعَلُّمِ.

إِذِنْ سَوَاءَ كَانَ الطَّرِيقَ حَسِيًّا انْتَقَلْتَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، مِنْ بَيْتِكَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ، مِنْ بَيْتِكَ إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ طَرِيقًا مَعْنَوِيًّا عَنْ طَرِيقِ السَّمَاعِ أَوْ الْقِرَاءَةِ أَوْ الْبَحْثِ، كُلُّ هَذِهِ الطَّرُقِ تُوْدِي إِلَى الْجَنَّةِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ يَدُلُّكَ عَلَى الطَّرِيقِ الَّذِي يُوْصِلُكَ إِلَى الْجَنَّةِ، يَقُولُ لَكَ: هَذَا طَرِيقُ التَّوْحِيدِ، وَهَذَا طَرِيقُ الصَّلَاةِ، وَهَذَا طَرِيقُ الصَّوْمِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُوْصِلُكَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَعْلَمُكَ الْعَوَارِضَ الَّتِي تَصْدُكَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى الْجَنَّةِ، يَقُولُ لَكَ: هَذَا شِرْكٌ يَمْنَعُكَ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُوْدِي بِكَ إِلَى النَّارِ، هَذَا فَسُوقٌ وَعَصِيَانٌ يَمْنَعُكَ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُوْدِي بِكَ إِلَى النَّارِ، وَهَكَذَا.

فالعلم يدلّك ويرشدك إلى طريق الجنّة فتسلّكه، ويدلّك على طريق النار فتجتنبه وتبتعد عنه وتنهى عنه.

"وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَقَّتْ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ" هذا لشرف مجالس الذكر ومجالس العلم، فالله عز وجل يحبها ويحب أهلها، ولهذا يُمْنُ على أهلها بهذه المنن العظيمة:

- تنزل عليهم السكينة،
- وتغشاهم الرحمة،
- وتحفهم الملائكة،
- ويذكّرهم الله فيمن عنده في الملاء الأعلى،

ونسأل الله أن يجعل لنا من هذا أوفر الحظ والنصيب.

"وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ" يعني المسلم إذا قصّر في العمل، قصر في الإيمان والعمل الصالح، لم يوصله إلى درجة السابقين والمساارعين في الخيرات أنّه من نسب شريف أو من نسب عالٍ، فعملك ضعيف إذن درجتك في الآخرة ضعيفة، إذا عملك ضعيف فستكون درجتك ضعيفة، ليس هو إذا كان عملك ضعيفاً ونسبك شريفاً أنّ درجتك ستكون أعلى، "وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ" يعني لم يرفعه النسب على الدرجة التي يستحقها بعمله، فهذا فيه عدم الاتكال على الأنساب والأحساب، وإثماً فيه الجِد والاجتهاد في الإيمان والعمل الصالح.

الحديث السابع والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً" رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما بهذا اللفظ.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ" يعني كتبها في اللوح المحفوظ.

"فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ" حَدَّثَ نَفْسَهُ، أَوْ مَثَلًا عَقَدَ الْعَزْمَ عَلَى أَنْ يَصْلِيَ الضَّحَى رَكَعَتَيْنِ، مُجَرَّدَ الْهَمِّ أَنْكَ تَصْلِي الضَّحَى رَكَعَتَيْنِ يَكْتُبُ اللَّهُ لَكَ بِهَذَا الْهَمِّ حَسَنَةً، "ثُمَّ يَبَيِّنُ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً" غير منقوصة، يُؤَجَّرُ وَيَثَابُ عَلَى هَذَا الْهَمِّ. "وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا" هَمٌّ أَنْ يَصْلِيَ الضَّحَى وَصَلَى، قَالَ: "كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ" إِذْنُ الْهَمُّ بِالْحَسَنَةِ تُكْتُبُ لَكَ حَسَنَةً، وَلاَحِظْ مَا قَالَ "حَسَنَةً وَاحِدَةً"، قَالَ: "حَسَنَةً كَامِلَةً" تَنْوِيهَا بِأَنَّهَا حَسَنَةٌ كَبِيرَةٌ، صَحِيحٌ أَنَّهَا وَاحِدَةٌ؛ لَكِنَّهَا حَسَنَةٌ كَبِيرَةٌ وَعَظِيمَةٌ.

"مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِالْحَسَنَةِ وَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ"، ثُمَّ يُضَاعَفُهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى حَسَنِ الْإِسْلَامِ، فَكُلُّ مَا حَسُنَ الْإِسْلَامُ كُلَّمَا عَظُمَتِ الْمُضَاعَفَةُ، فَالْأَصْلُ أَنَّ الْحَسَنَةَ تُضَاعَفُ عَشْرَةً أَضْعَافٍ، لَكِنْ كُلَّمَا حَسُنَ الْإِسْلَامُ الْعَبْدُ، وَحَسُنَ إِيْمَانُهُ، وَصَدَقَ إِيْمَانُهُ، كُلَّمَا كَانَتِ الْمُضَاعَفَةُ أَكْثَرَ.

ولهذا انظر، المرأة البغي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، امْرَأَةٌ بَغِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَقَتْ كَلْبًا، هَذِهِ حَسَنَةٌ أَوْ مَا هِيَ حَسَنَةٌ؟ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْحَسَنَةُ مَاذَا فَعَلَتْ؟ مَحَا اللَّهُ بِهَا كُلَّ ذُنُوبِهَا بِمَا فِيهَا الزَّنا الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْجَرَائِمِ وَالْفَوَاحِشِ، وَأَدْخَلَهَا بِهَا الْجَنَّةَ بِهَذِهِ الْحَسَنَةِ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهَا صَدَرَتْ عَنْ إِيْمَانٍ عَظِيمٍ، وَعَنْ إِخْلَاصٍ عَظِيمٍ، وَعَنْ صِدْقٍ مَعَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَكَانَتْ

مثل مصباح واحد لكنه قوي جدًا لا تبقى أي ظلمة في الحجرة التي هي فيها، وأحياناً يكون عندك عشرون مصباحاً مشتعلة والغرفة لا تزال مظلمة، هذه ضعيفة، وهذه ضعيفة، وهذه ضعيفة.

ولهذا انظر حسنة واحدة تُكتب سبعمائة حسنة، هل هذه النهاية؟ لا، قال: **"إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ"**، يعني قد تضاعف حتى فوق السبعمائة ضعف، فهذا راجع لما يحف بتلك الحسنة مِنَ الصِّدْقِ مَعَ اللَّهِ جل وعلا.

"وَإِنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا" هم أن يسرق، هم أن يزني، هم أن يشرب خمرًا، هم أن يرتشي.

"فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً" يعني إن هم بحسنة ولم يعملها كُتِبَتْ له حسنة، وإن هم بسيئة ولم يعملها كُتِبَتْ أيضًا له حسنة، ولكن فيه فرق، ما الفرق؟ الفرق أنه في ترك السيئة لما هم بها لا يثاب عليها؛ حتى يتركها لله جل وعلا؛ لِأَنَّهُ جاء لفظ للحديث: **"يُزَكُّهَا مِنْ جَرَائِي"**، يعني هم بسيئة ثم تركها خوفًا من الله، تركها حياءً من الله، هنا تُكتب له حسنة، أمّا إن حرص على السيئة؛ ثم تركها عجزًا عنها، مثلاً واحد دخل بقالة يريد أن يسرق، يضع في جيبه ويخرج، ولما جاء يسرق وإذ بعامل من عمال البقالة دخل عليه المكان الذي هو فيه، ما سرق وخرج، لماذا ما سرق؟ لله عز وجل؟ لا، تركها خوفًا من هذا المخلوق الذي اطلع عليه، فهذا لا يدخل في الحديث؛ بل هذا يُخْشَى عَلَيْهِ أن تُكتب سيئة، إذا وصلت إلى درجة العزم، ودرجة الحرص الأكيد؛ فإنها تُكتب سيئة، مثل ما جاء في الحديث: **"إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ"**، قالوا: هذا القاتل، القاتل دخل النار؛ لِأَنَّهُ قتل مسلمًا، والمقتول لماذا دخل النار؟ يُقتل ويدخل النار بعد؟ قال ﷺ: **"إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ"**، فحرصه هذا أدخله النار.

"وَإِنْ هُمْ بِهَا فَعَمِلْهَا" هم بالسيئة وعمل السيئة.

"كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً" ما قال "كاملة"، قال: **"سيئة واحدة"**، لإظهار فضل الله عز وجل وإظهار عدله جل وعلا:

- أَنَّهُ عَمَلٌ سَيِّئَةٌ كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ هَذَا عَدْلٌ،
- هُنَاكَ هُمْ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ كَامِلَةٌ وَمَا عَمَلٌ مِّنْ بَابِ إِظْهَارِ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ.

كتبها الله سيئة واحدة، وَقَدْ يَكُونُ الذَّنْبُ وَاحِدًا، وَلَكِنْ يَتَفَاوَتُ هَذَا الْجُرْمُ فِي شِنَاعَتِهِ وَقَبْحِهِ، مَثَلًا وَاحِدَ عَصَى اللَّهِ بِالسَّرْقَةِ فِي الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ وَوَاحِدَ سَرَقِ نَفْسِ الْمَبْلُغِ وَلَكِنْ خَارِجَ الْحَرَمِ فِي الرِّيَاضِ فِي تَبَوُّكٍ، هَلْ قَبَحَ الْمَعْصِيَةِ وَاحِدٌ؟ هَذَا سَرَقَ خَمْسَةَ رِيَالَاتٍ وَهَذَا سَرَقَ خَمْسَةَ رِيَالَاتٍ؛ لَكِنْ هَذَا عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِي الطَّوَافِ، وَهَذَا خَارِجَهَا، السَّرْقَةُ وَاحِدَةٌ؛ لَكِنْ هَلْ قَبَحَ السَّرْقَةُ سَوَاءٌ؟ الْجَوَابُ: لَا، هَلْ ذَاكَ كُتِبَ عَلَيْهِ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ عَلَى سَرْقَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهَذَا الَّذِي سَرَقَ هُنَا تُكْتَبُ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ، أَوْ كُلُّهُمْ تُكْتَبُ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ سَيِّئَةٌ؟ كُلُّهُمْ سَيِّئَةٌ سَيِّئَةٌ، ذَلِكَ سَيِّئَةٌ وَهَذَا سَيِّئَةٌ، لَكِنْ لَا يَمْنَعُ هَذَا أَنَّ تَكُونَ الْعُقُوبَةُ عَلَى تِلْكَ السَّيِّئَةِ أَعْظَمَ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَى السَّيِّئَةِ الْآخَرَى، فَيَكُونُ التَّضْعِيفُ فِي دَرَجَةِ الْعُقُوبَةِ لَا فِي عِدَدِ الْعُقُوبَةِ، فَتَكُونُ هِيَ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ؛ لَكِنْ سَيِّئَةٌ شَنِيعَةٌ، لَا تُكْتَبُ عَلَيْهِ سَيِّئَتَيْنِ وَلَا عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، السَّيِّئَةُ تُكْتَبُ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ.



الحديث الثامن والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَلَنْ سَأَلَنِي لِأُعْطِيَنَّهُ، وَلَنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ". رواه البخاري.

هذا حديث مشهور معروف بحديث الولي، وألف فيه عدد من أهل العلم، منهم ابن تيمية رحمه الله، والشوكاني رحمه الله، وغيرهم من أهل العلم.
"من عادى لي وليًّا" يعني أبغضه، وسعى في مضمرته نفسيًّا أو ماليًّا أو بدنيًّا أو غير ذلك من أنواع الأذى.

"فقد آذنته بالحرب" يعني أعلمته وأعلنت عليه الحرب، وما ظنك بمن أعلن الله عليه الحرب؟ لا شك أنه المهزوم الخاسر والعياذ بالله.

من هو الولي؟ الولي الذي يتقرب إلى الله بطاعته وترك معصيته، هذا هو الولي، كما قال الله عز وجل: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. فالولي هو المؤمن التقي، وولاية الله إنما تدرك بالإيمان والعمل الصالح، وعلامة الولاية أن يكون الشخص مستقيمًا على الإيمان الصحيح، وعلى طاعة الله، وعلى اجتناب معصية الله، وهذه أعظم كرامة له.

ثم إن هذا المصطلح: الولي والولاية، أدخل عليه الصوفية تحريفًا عظيمًا جدًّا، وأفسدوه أيما إفساد، فجعلوا الولي أفجر الناس وأفسق الناس وأخبث الناس، الذي لا يركع لله ركعة ولا يسجد لله سجدة، ولا يتحاشى عن حرام، يجعلونه من كبار الأولياء، ويجعلون الفسوق والفجور كرامةً من كراماته.

والذي يقرأ "طبقات الأولياء" للشعراني يجد مصداق هذا، يعطيك عنوان ومنه "ومن الأولياء فلان بن فلان رضي الله عنه وَقَدْ بلغ من كرامته كذا وكذا وكذا"، ويذكر لك جملة من المنكرات والفواحش، هَذِهِ هِيَ كراماته، فلان يكشف عورته في السوق، فلان يفعل الفاحشة بفلانة، يفعل الفاحشة بالدابة بالبهيمة أمام النَّاسِ، بلغ مِنْ ولايته أَنَّهُ يخطب يوم الجمعة عاريًا، ويحصل للناس مِنْ جراء ذَلِكَ انبساط، هَذِهِ كرامته.

يأتون إلى السحرة والمشعوذين والدجالين ويقولون: "هؤلاء أولياء وَهَذِهِ كراماتهم"، السحر الَّذِي هُوَ كفر والسحرة الَّذِينَ هم كفار هؤلاء يجعلونهم أولياء لله.

ولبَسَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ أَنَّ معنى قول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]؛ أَنَّ معناه اعبد ربك حَتَّى تصل إلى درجة اسمها درجة اليقين، فَإِذَا وصلت إلى هَذِهِ الدرجة سقطت عنك كُلُّ التكاليف، لا تصلي ولا تصوم ولا تزكي ولا تحج وما عاد في شَيْء اسمه حرام، نسأل الله العافية، وما عاد في كتابة سيئات، ولعلكم رأيتم مقطعًا موجودًا في اليوتيوب لواحد مِنْ رؤوس الصوفية الهلكى هلك، هُوَ يَقُولُ عَنْ نفسه بصيغة الجزم أَنَّ مَلَكَ السيئات هَذَا ما عاد يكتب عَلَيْهِ ولا سيئة انتهت، ما عنده إِلَّا مَلَكُ اليمين هُوَ الَّذِي يكتب، ولهذا يسب ويلعن الوهابية وما يؤاخذ بِهَذَا اللعن، لا يحاسب عَلَى اللعن؛ لِأَنَّ مَلَكَ السيئات ما عاد يكتب، نسأل الله العافية والسلامة.

فأدخلوا عَلَى النَّاسِ الفجور والتحلل مِنْ شرائع الدين؛ تَحْتَ اسم "الولي والأولياء"، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في رسالته "الأصول الستة" نبه عَلَى هَذَا الأمرِ.

فميزان الولاية هُوَ كتاب الله وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ: ﴿لَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿[يونس: ٦٢-٦٣]. يؤمن ويتقي الله جل وعلا، هَلْ بلغكم أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ سيد الأولياء، سيد الأتقياء، الَّذِي هُوَ أَتقى الخلق لله وأعلمهم بالله وأخشاهم لله، هَلْ بلغكم عَنْهُ أَنَّهُ ترك فريضة واحدة أو ترك يومًا مِنْ رمضان؟ لا، أبدأ، يأمر النَّاسَ بالطاعات وَهُوَ أول مَنْ يقوم بها، وأكمل مَنْ يقوم بها، وينهى عَنِ المعاصي والمنكرات وَهُوَ أبعد النَّاسِ عنها ﷺ، هَذِهِ هِيَ التقوى وَهَذِهِ هِيَ الولاية.

وَالنَّبِيُّ ﷺ أعطاه الله عز وجل النبوة والرسالة وختم به النبيين ﷺ، فإلهم أَنَّهُ هَذَا المصطلح يَجِبُ أَنْ يُعلم، وَأَنْ يُنشر في النَّاسِ، ولا سيما في البيئات الَّتِي ينتشر فِيهَا التصوف،

تنتشر فيها الطرق التي لبس أصحابها على كثير من عوام المسلمين، فأوقعوهم في الشرك وعبادة غير الله بدعوى محبة الأولياء، وقالوا: "تري فلان ولي؛ لأنه يلقي الدرس وهو معلق في الهواء، طائر في الهواء هكذا، هذا علامة أنه ولي"، وهو واضع له عموداً ومستتر عليه بستارة وجالس على طاولة والناس يظنون أنه جالس في الهواء، هذه واحدة من الحيل، وإلا إذا كان فعلاً ما تحته شيء فشياطينه وجنّه رافعونه أمام الناس.

كذلك يقولون: "نحن نطعن أنفسنا بالسكاكين والشيش والأشياء هذه وما تؤثر فينا هذه علامة الولاية، نأكل الجمر ونمشي على الجمر ونسقط على الجمر وما يؤثر فينا، هذه علامة الولاية".

يا أخي الولي لا يزكي نفسه أصلاً، الولي لا يقول لك: "أنا ولي"، الله يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]، ﴿لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]. فكيف هذا يقول: "أنا ولي"، يزكي نفسه، كيف! هذا من أول ما يقدر ويعطيك علامة شر عن هذا الشخص، أنه معجب بنفسه وأنه يزكي نفسه.

أنت تبع أي شيخ؟ قال: "أنا تبع الشيخ فلان"، لماذا شيخك هذا لا يصلي في المسجد مع المسلمين؟ قال: "لا، شيخي تأتي الكعبة إلى بيته وهو يصلي، شيخي لا يذهب لا لحج ولا عمرة ولا كذا، الكعبة تأتي إلى حد بيته"، ويضحك عليهم وهو لا يصلي أصلاً، لماذا لا يصلي؟ قال: "أنا الكعبة تأتيني ولا أنا أصلاً أذهب أصلي في مكة وآتي وأنتم ما خرجتم من المسجد"، والناس تهلل وتكبر، الله أكبر، الله أكبر.

سلبوا عقول الناس، وسلبوا أفهامهم، وسلبوا أديانهم، وسلبوا أموالهم، وسلبوا أعراضهم، كله باسم الولاية والعياذ بالله.

"مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ" إذن الولي الذي يحب الله عز وجل ويحبه الله هو الذي يتقرب إلى الله بالفرائض، وهؤلاء جعلوا الولي الذي يتقرب إلى الله بترك الفرائض، انظر المصادمة بين النصوص.

"وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ" وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ

الأوامر أو المأمورات كلها محبوبة إلى الله ولكن بعضها أحب إليه من بعض.

"وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ" إِذْنِ الْوَلِيِّ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِطَاعَتِهِ

فَرْضًا وَنَفْلًا، لَيْسَ هُوَ الْوَلِيُّ يَتَحَلَّلُ مِنْ هَذِهِ الطَّاعَاتِ كُلِّهَا.

"فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ

بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا" يَعْنِي إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ فَإِنَّ اللَّهَ يَحْفَظُهُ فِي هَذِهِ الْأَعْضَاءِ فَيَسْتَعْمِلُهَا

فِي طَاعَةِ اللَّهِ، هَذَا مَعْنَى "كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ، وَيَدَهُ، وَرِجْلَهُ" بِمَعْنَى أَحْفَظُهُ

فِي سَمْعِهِ، وَأَحْفَظُهُ فِي بَصَرِهِ، وَأَحْفَظُهُ فِي يَدِهِ، وَأَحْفَظُهُ فِي رِجْلِهِ، بِحَيْثُ يَسْتَعْمِلُ هَذِهِ

الْأَعْضَاءَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، لَا يَسْتَعْمِلُهَا فِي الْمَعَاصِي.

"وَلَكِنْ سَأَلَنِي لِأُعْطِيَنَّهُ" إِذْنِ عِنْدَنَا سَائِلٌ وَعِنْدَنَا مَسْئُولٌ، عِنْدَنَا وَلِيٌّ وَعِنْدَنَا رَبٌّ،

هَذَا غَيْرُ هَذَا، بَعْضُهُمْ يَأْتِي يَفْهَمُ هَذَا الْحَدِيثَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحُلُّ بِهَذَا الْعَبْدِ، أَوْ يَتَّحِدُ بِهَذَا

الْعَبْدِ، لَيْسَ صَحِيحًا، اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ الْعَرْشِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، إِنَّمَا مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ

يَحْفَظُهُ، فَلَا يَعْصِي اللَّهُ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ.

"وَلَكِنْ سَأَلَنِي لِأُعْطِيَنَّهُ": يَعْنِي مَا سَأَلَ.

"وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي" أَوْ "اسْتَعَاذَ لِي" كَلَامُ الضُّبُطَيْنِ، "وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ" يَعْنِي مِمَّا

يَخَافُ وَيَحْذَرُ، "رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ".

فهذا الحديث فيه التحذير من عداوة أولياء الله، لكن هذا لا يمنع أنه إذا صار بينك

وبين أحد الصالحين خصومة أنك تطالب بحقك، الولي هذا ليس معصومًا، قد يقع في الخطأ،

فلو صار بين اثنين من أولياء الله الصالحين خصومة على أمر دنيوي، أو على حتى أمر ديني

في مسائل حصل بينهم فيها نزاع، فهذا لا يقدر في ولاية هذا، ولا ولاية هذا، ولا يكون هذا

من أسباب محاربة الله لأحد هذين الطرفين؛ ما دام يجتهدان في إحقاق الحق.

الحديث التاسع والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **"إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ"** حديث حسن رواه ابن ماجة والبيهقي وغيرهما.

"إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي" يعني كأنه إكرام من الله لنبيه ﷺ.

تجاوز له عن أمته **"الخطأ"** يعني الذنب الذي وقعوا فيه من باب الخطأ، لا من باب التعمد، وقعوا فيه جهلاً، أراد أن يعمل عملاً يريد به الخير، لكنه أخطأ ووقع في خلاف ما أراد أو في غير ما أراد.

"تجاوز لي عن أمتي الخطأ" مثل القتل الخطأ، هل يأثم؟ لا يأثم إن شاء الله.

فالقتل الخطأ أن الشخص يريد أن يعمل عملاً مأذوناً له فيه شرعاً، فأنت مأذون لك أن تسوق السيارة، ومأذون لك أن تصيد الطيور، لكن وأنت تسوق صدمت إنساناً بالخطأ فمات، أو أردت أن تصيد فأصاب الرصاصة إنساناً فمات، وأنت لم ترده أصلاً، فمثل هذه الأشياء لا إثم فيها إن شاء الله، لكن فيها الكفارة، وفيها الدية، وفيها ضمان الشيء المتلف لكن لا يوجد الإثم إن شاء الله.

أو مثلاً عالمٌ أفتى وفتواه هذه خطأ، لكن ما تعمد الخطأ هو، اجتهد واجتهد ولكن ما وُفِّقَ في هذه المسألة للصواب، فلا يأثم على الخطأ في الفتوى.

"والنسيان" يعني الذهول عن الشيء بعد العلم به، الخطأ قد يكون جهلاً لا يعلم أصلاً، وقع في هذا الأمر جهلاً، الخصلة الثانية أنت عندك علم لكن في هذا الوقت كنت ذاهلاً عنه، هذا هو النسيان، فهذا أيضاً معفو عنه، واحد يعرف أنه لا يجوز الكلام في الصلاة، يعرف هذا، وهو يصلي في البيت إلا واحد يسأل: أين المفتاح؟ أين المفتاح؟ فهو سرح وذهل في الصلاة وقال: **"على الطاولة"**، وبعد ذلك انتبه أنه يصلي، صلاته صحيحة أو باطلة؟ صحيحة؛ لأن كلامه هذا عن نسيان أنه في الصلاة، نسي أنه في حال صلاة.

مثلاً لو هذا شخص أصابت ثوبه نجاسة وعارف أنَّ ثوبه فيه نجاسة، وَقَالَ: "إِنْ شَاءَ اللَّهُ بَعْدَ قَلِيلٍ أَذْهَبَ أَغْسَلَ الثَّوْبَ قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ أَصْلِي"، وانشغل وأُذِّنَ وذهب إلى المسجد وصلى، وَبَعْدَ مَا صَلَّى وَسَلَّمَ التفت وتذكر النجاسة، يعيد الصَّلَاةَ أو ما يعيد؟ لا يعيد الصَّلَاةَ؛ لِأَنَّهُ نَاسٍ أَنْ عَلَى ثَوْبِهِ نَجَاسَةٌ.

واحد أحدث وَقَالَ: "إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَوَّلَ مَا يُؤْذَنُ أَتَوَضَّأُ وَأَذْهَبُ أَصْلِي"، أُذِّنَ وَذْهَبَ صَلَّى، نَسِيَ أَنَّهُ أَحْدَثَ، وَبَعْدَ مَا صَلَّى تَذَكَّرَ أَنَّهُ أَحْدَثَ، ماذا؟ يتوضأ ويصلي، لماذا لم نطبق هَذَا الْحَدِيثَ: "إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ؟" نحن نُعْمَلُ هَذَا الْحَدِيثَ وَلَكِنْ نَعْمَلُهُ فِي جَانِبٍ، وَنَقُولُ: إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِ إِثْمٌ فِي كَوْنِهِ صَلَّى عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ نَاسِيًا، لَكِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ بِالصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ الْوُضُوءَ مَأْمُورٌ بِهِ، وَالْمَأْمُورُ بِهِ لَا يَسْقُطُ بِالنِّسْيَانِ، أَمَّا النِّجَاسَةُ فَهُوَ شَيْءٌ مَنْهِي عَنْهُ، وَالشَّيْءُ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ يَسْقُطُ بِالنِّسْيَانِ.

"وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ" مَنْ فَعَلَ الذَّنْبَ مَكْرَهًا فَلَيْسَ لَهُ إِرَادَةٌ وَلَا اخْتِيَارٌ، فَاَلْمُضْطَرُّ الْمَكْرَهَ عَلَى الشَّيْءِ هَذَا لَا إِثْمَ عَلَيْهِ، مِثْلَ وَاحِدٍ يَكَادُ يَمُوتُ مِنَ الْجُوعِ وَمَا عِنْدَهُ إِلَّا مِيتَةٌ، لَوْ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا مَاتَ، يَأْكُلُ أَوْ مَا يَأْكُلُ؟ يَأْكُلُ، لِأَنَّهُ مَكْرَهَ مُضْطَرٍّ، وَاحِدٌ قِيلَ لَهُ: "يَلَا طَلَّقَ امْرَأَتَكَ وَإِلَّا ذَبَحْنَاكَ؟" فَطَلَّقَهَا خَائِفًا مِنَ الْقَتْلِ، يَقَعُ الطَّلَاقُ أَوْ مَا يَقَعُ؟ لَا يَقَعُ، هُوَ لَا يَرِيدُ أَنْ يَطْلُقَ، هُوَ طَلَّقَهَا إِكْرَاهًا.

واحد قِيلَ لَهُ: "يَلَا تَقْتُلُ فُلَانًا وَإِلَّا قَتَلْنَاكَ" وَذَهَبَ وَقَتْلَهُ يَأْتِمُ أَوْ مَا يَأْتِمُ؟ يَأْتِمُ، هَذَا لَيْسَ بِعَذْرِ، نَفْسُكَ لَيْسَتْ بِأَعْلَى مِنْ نَفْسِهِ تَفْدِي نَفْسُكَ بِهِ، فَالْإِكْرَاهُ فِي الْقَتْلِ لَيْسَ بِصَحِيحٍ، اللَّهُمَّ إِلَّا فِي حَالَةٍ وَهِيَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ أَيْهَا الْقَاتِلِ فِي حَكْمِ الْآلَةِ فِي يَدِ الْمَكْرَهِ، يَعْنِي تَسْلُطَ عَلَيْكَ هَذَا الْمَكْرَهَ وَأَمْسَكَ بِيَدِكَ وَمَا صَارَ لَكَ أَيُّْ اخْتِيَارٍ، وَجَعَلَكَ كَالْآلَةِ فِي يَدِهِ تَطْلُقُ عَلَيْهِ مِنْ دُونِ إِرَادَةِ مَنْكَ وَدُونِ اخْتِيَارِ مَنْكَ، يَسْمُونَهُ إِكْرَاهًا مُلْجَأًا لَيْسَ لَكَ أَيُّْ إِرَادَةٍ وَاخْتِيَارٍ فَهَذِهِ صُورَةٌ ثَانِيَةٌ.

"إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ" وَلِلَّهِ الْحَمْدُ هَذِهِ مَوَاقِعٌ لِلتَّكْلِيفِ تَمْنَعُ الْمُوَاخَذَةَ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي صَدَرَتْ تَحْتَ تَأْثِيرِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ.

الحديث الأربعون

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ" وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: "إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ. وَخُذْ مِنْ صَحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ" رواه البخاري.

"ابن عمر" رضي الله عنهما وهو أحد المكثرين من رواية الحديث، يعني ممن بلغت رواياتهم ألف حديث فأكثر.

"أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" يَعْنِي أَمَسَكَ، "بِمَنْكِبِي" يَعْنِي جَمَعَ الْعِضْدَ مَعَ الْكَتِفِ هَذَا الْمَنْكَبِ، هَذَا الْعِضْدَ وَهَذَا الْكَتِفَ فَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا يُسَمَّى مَنْكَبًا، وَلِهَذَا يُقَالُ: "فُلَانٌ بَعِيدٌ مَا بَيْنَ الْمَنْكَبَيْنِ"، إِشَارَةً إِلَى عَرْضِ صَدْرِهِ، وَأَمَسَكَ بِمَنْكِبِهِ عِنْدَ التَّعْلِيمِ وَالْمَوْعِظَةِ مِنْ بَابِ التَّأْلِيفِ وَإِدْخَالِ الْأَنْسِ عَلَيْهِ؛ وَحَتَّى أَيْضًا يَثْبُتَ الْمَعْلُومَةُ، انْظُرْ ابْنُ عُمَرَ مَا نَسِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي حَدَّثَهُ فِيهِ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

"كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ" هَذَا خُطَابُ ابْنِ عُمَرَ فَقَطْ؟ لِلْأَمَةِ كُلِّهَا، فَهُوَ خُطَابٌ لَوَاحِدٍ وَلَكِنِ الْمَقْصُودُ الْأَمَةُ كُلُّهَا، فَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَأَنَا وَأَنْتَ وَمَنْ يَسْمَعُ، وَكُلُّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ هَذِهِ الْأَمَةِ مَأْمُورُونَ أَنْ يَكُونُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَأَنَّا غُرَبَاءُ أَوْ عَابِرُونَ سَبِيلٍ.

"كَأَنَّكَ غَرِيبٌ" الْغَرِيبُ الَّذِي يَنْزِلُ فِي بَلَدٍ لَيْسَ بِلَدِهِ، وَإِنَّمَا نَزَلَهُ لَغَرَضٍ مُعَيَّنٍ، فَلَا تَجِدُهُ يَأْنِسُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَيَعَامِلُ نَفْسَهُ مَعَامِلَةَ السَّاكِنِ الدَّائِمِ فِي هَذَا الْبَلَدِ، وَلِهَذَا لَا يَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فِي وَقْتِ الْغُرْبَةِ، بَلْ هِمَّتُهُ مُتَطَلِّعَةٌ إِلَى أَنْ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ فِي بَلَدِ الْغُرْبَةِ ثُمَّ يَرْجِعُ، وَلِهَذَا تَجِدُهُ فِي بَلَدِهِ عِنْدَهُ بَيْتٌ وَعِنْدَهُ أَثَاثٌ وَعِنْدَهُ كَذَا، وَفِي الْبَلَدِ الَّذِي جَلَسَ فِيهَا بَلَدِ الْغُرْبَةِ سَاكِنٌ فِي غُرْفَةٍ وَلَا فِيهَا أَثَاثٌ وَلَا مَتَاعٌ وَلَا شَيْءٌ كَثِيرٌ، اللَّهُمَّ بِقَدْرِ مَا يَمْشِي أُمُورُهُ الضَّرُورِيَّةُ؛ حَتَّى يَعُودَ إِلَى بَلَدِهِ، هَذَا وَاقِعٌ أَوْ مَا هُوَ وَاقِعٌ؟ وَاقِعٌ، لَا تَجِدُ الْغَرِيبَ يَتَوَسَّعُ فِي

الدنيا كما يتوسع الشخص الَّذِي هُوَ مستوطن ومقيم دائماً، وهكذا أَنْتَ في الدنيا، أَنْتَ غريب في هَذِهِ الدنيا؛ لأنك تجلس فِيهَا فترة بسيطة جداً سريعة، ثُمَّ ستصير إلى دار الاستقرار. فأنت الآن في دار غربة، اعمل في هَذِهِ الدار لما ينفعك في دار الاستقرار، ولا تشغل في دار الغربة بالتوسع فِيهَا فتشغلك عَنِ الاستعداد للدار الأصلية الَّتِي ستعود إليها.

"أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ" يَعْنِي بَلْ عابر سبيل، فَمِنْ معاني "أَوْ" بَلْ، يَعْنِي تَرَقَّى إِلَى درجة أعلى وَهِيَ درجة عابر السبيل، وَهَذِهِ تذكيري بمثل قول الله عز وجل في يونس: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]. لما ترجع إلى التفسير تجد يذكرون في التفسير أَنَّ "أَوْ" معناه بَلْ، بَلْ يزيدون عَلَى مائة ألف.

عابر السبيل أخف وأخف مِنَ الغريب؛ لِأَنَّ الغريب نازل في البلد، ولكن عابر السبيل يمر بالبلد مروراً، وَهَذَا تعلقه أَقل وأقل، يَعْنِي لما يكون عابراً فقط يأخذ مِنَ البلدة الَّتِي مر بها الأشياء الَّتِي توصله إِلَى المحطة القادمة؛ وإلى البلدة الَّتِي سيمر بها في طريقه، فتعلقه مِنَ المتاع والأغراض والأشياء أَقل مِنَ تعلق الغريب، وتعلق الغريب أَقل مِنَ تعلق المستوطن المقيم. فالقصد مِنَ هَذَا الحديث هُوَ التقليل مِنَ الدنيا، وعدم الانشغال بِأَمْرِ التوسع في الدنيا عَنِ الاستعداد للآخرة بالإيمان والعمل الصالح، وليس معنى الحديث أَنَّ تترك الدنيا كلها، الله قَالَ في كتابه الكريم عَلَى لسان القوم الَّذِينَ نصحوا قارون: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

"وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ" يَعْنِي فِيهِ عمل في الليل لا ينبغي أَنْ يؤخر إِلَى الصبح؛ فبادر به في الليل، مثلاً قيام الليل، الوتر أين وقته؟ صلاة المغرب أين وقتها؟ العشاء أين وقتها؟ كُلُّ هَذَا مِنَ عمل الليل؛ فلا تؤخره إِلَى الصبح.

"وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ" فيه عمل في النهار لا يصلح إِلَّا في النهار، الصوم متى تصوم؟ تصوم في النهار، تصوم مِنَ عمل النهار، الفجر الظهر العصر كلها مِنَ عمل النهار.

"وَحُذِّ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ" يَعْنِي استغل أيام الصحة، اعمل فِيهَا العمل الصالح قبل أَنْ يدهمك المرض فتعجز عَنْهُ.

"وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ" استغل أيام الحياة، فالحياة هي مدة العمل، وإذا مات انقطعت عن العمل "إذا مات الإنسان انقطع عمله" فاستغل ما دمت موجودًا في هذه الحياة فاستغلها أحسن استغلال في الإيمان والعمل الصالح؛ لأنك إذا مات لن تصلي بعد موتك، ولن تصوم بعد موتك، ولن تحج بعد موتك، ولن تطلب العلم بعد موتك، ولن تدعو إلى الله بعد موتك، هذا كله ميدان الآن في الدنيا، اللهم إلا شيء هو من عملك ويبقى بعدك:

❖ "صدقة جارية" ما دامت هذه الصدقة موجودة فأجرك موجود؛ حتى تعطل، فإذا تعطلت خلاص انتهى الأجر،

❖ "أو علم ينتفع به" ما دام علمك موجودًا ينتفع الناس به فلك الأجر؛ حتى ينقطع هذا العلم،

❖ "أو ولد صالح يدعو لك" فما دام فيه ولد صالح موجود يدعو لك تنتفع بثوابه وأجره؛ حتى يموت هذا الولد وينتهي الداعون لك، طبعًا الولد وغير الولد لو دعوا للميت انتفع بدعائهم، لكن دعاء الولد له خاصية أكثر في هذا الباب، بعض الناس يظن أن الولد فقط هو الذي ينفع دعاؤه للميت إذا سمع هذا الحديث، لا، ولهذا المسلمون يصلون على الجنازة سواء هذا الميت الأب أو أيًا كان من المسلمين، وينتفع بصلاتهم أو لا؟ وينتفع بدعائهم أو لا؟ ينتفع، لكن دعاء الولد وإذا كان صالحًا له ميزة خاصة ونفع خاص.

الحديث الحادي والأربعون

عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ"** حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

حُوِّلَفَ المؤلف في هَذَا الحكم في كون إسناده صحيح وذكروا أن في هَذَا الحديث علل، المهم بالنسبة لفقهِ الحديث.

"لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ" يَعْنِي تكون محبته ورغبته موافقة لما أحب الله وشرع الله سبحانه وتعالى، فلا يؤمن العبد الإيمان الكامل؛ حَتَّى يكون كَذَلِكَ، كما قَالَ الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَزَجًا مِمَّا قُضِيَتْ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء/٦٥].

الحديث الثاني والأربعون

عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: "يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تَشْرِكَ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقَرَابِهَا مَغْفِرَةً" رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

"عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: "إِذْ هَذَا حَدِيثٌ قَدْسِي؛ لِأَنَّهُ قَالَ "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى"، وَهَذَا الْكَلَامُ الَّذِي سِيَأْتِي لَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَهُوَ حَدِيثٌ قَدْسِي.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي" يَعْنِي لَوْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي "ثُمَّ دَعَوْتَنِي" يَعْنِي تَطَلَّبَنِي الْمَغْفِرَةَ، "دَعَوْتَنِي" يَعْنِي تَائِبًا مُسْتَغْفِرًا، نَادِمًا، تَطَلَّبَنِي أَنْ أَغْفِرَ لَكَ.

"وَرَجَوْتَنِي" دَعَوْتَنِي وَأَنْتَ تَرْجُو أَنْ أَغْفِرَ لَكَ، تُحْسِنُ بِي الظَّنَّ، قَالَ اللَّهُ: "غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي" لَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ يَمَّا يَغْضَبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ تَابَ وَأَنَابَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهُ صَادِقًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَلَمْ يَعْأْ وَلَمْ يَبَالِ بِتِلْكَ الذُّنُوبِ.

"يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ" "عَنَانَ" يَعْنِي السَّحَابَ، "ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ" مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ، هَذَا تَأْكِيدٌ لِلْجُمْلَةِ الْأُولَى.

"يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا" يَعْنِي بِمَا يَقَارِبُ مَلَأُهَا هَذَا مَعْنَى "بِقَرَابِ"، لَوْ أَتَيْتَنِي بِمَا يَقَارِبُ مَلَأُ الْأَرْضِ خَطَايَا، "ثُمَّ لَقِيتَنِي" يَعْنِي مَتَّ، "لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا" يَعْنِي عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ.

"لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابٍ مَغْفِرَةٍ" معنى ذَلِكَ أَنَّ التوحيد الخالص يكفر الله به جميع الذنوب، لكن لاحظ: "لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا"؛ لَا شِرْكَ أَكْبَر وَلَا شِرْكَ أَصْغَر، يَعْنِي حَقَّقْتَ التوحيد تحقيقًا كاملاً غفر الله لك.

"لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابٍ مَغْفِرَةٍ" المهم هُوَ الموت عَلَى التوحيد، فَمَنْ حَقَّقَ التوحيد دخل الْجَنَّةَ؛ بَلْ دخل الْجَنَّةَ بغير حسابٍ وَلَا عذاب، فهذه الجملة فِيهَا الحثُّ عَلَى تحقيق التوحيد والإخلاص لله وعدم الإشراك به.

وَهَذَا أَيْضًا أَمْرٌ يَغْفِلُ عَنْهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْوَعَاظِ وَالِدُعَاةِ وَأَمْثَالِهِمْ، وَهُوَ أَنَّهُمْ يَحْرِصُونَ وَيَرْغَبُونَ النَّاسَ فِي بَعْضِ الْمَوَاسِمِ الطَّيِّبَةِ، مِثْلَ صَوْمِ عَاشُورَاءَ، صَوْمِ عَرَفَةَ، مِثْلَ أَيَّامِ رَمَضَانَ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاسِمِ الطَّيِّبَةِ، يَرْغَبُونَ فِي الصَّوْمِ وَأَنَّهُ يَكْفِرُ خَطَايَا سَنَةٍ، وَأَنَّهُ يَكْفِرُ خَطَايَا سَنَتَيْنِ، وَأَنَّهُ كَذَا، وَأَنَّهُ كَذَا، وَتَجِدُ نَشَاطًا وَجَهْدًا مَلْمُوسًا جَدًّا، عَنْ طَرِيقِ الْوَاتِسَابِ وَالرِّسَالِ وَغَيْرِهَا، وَمُلَصِّقَاتٍ وَمَنْشُورَاتٍ، هَذَا شَيْءٌ طَيِّبٌ تَذَكُّيرٌ بِالْخَيْرِ لَكِنْ يُطَالِبُونَ بِحِمَاسٍ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ بِتَذَكُّيرِ النَّاسِ بِحَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ وَفَضْلِ التَّوْحِيدِ.

لاحظ فضل التوحيد: "لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابٍ مَغْفِرَةٍ" ليس ذنوب سنة فقط ولا سنتين لا؛ بَلْ بذنوب العمر كله، الَّتِي أَسْلَفَتْهَا إِذَا حَقَّقْتَ التَّوْحِيدَ غَفَرَهَا اللَّهُ لَكَ، وَهَذَا طَبْعًا بِمَا فِي الْآيَةِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

فَمَنْ شَاءَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ كُلَّ ذَنْبِهِ إِذَا لَقِيَهُ لَا يُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَقَدْ تَقْتَضِي حِكْمَةُ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعَاقِبَ وَيُعَذِّبَ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَلَكِنْ عِنْدَهُ كِبَائِرٌ لَمْ يَتَّبِعْ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا فَيَدْخُلُ النَّارَ ثُمَّ يُخْرَجُ، إِمَّا بِشَفَاعَةِ الْأَنْبِيَاءِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ بِمَحْضِ فَضْلِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ، أَوْ أَنَّهُ يَبْقَى فِي النَّارِ الْمُدَّةَ الَّتِي يَطْهَرُ بِهَا وَيَنْقَى بِهَا، ثُمَّ يُخْرَجُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَبِفَضْلِهِ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَهَذَا نَصْلٌ إِلَى خَتَامِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْمُبَارَكَةِ رِسَالَةِ الْأَرْبَعِينَ النُّوَوِيَّةِ وَعَدَدُ الْأَحَادِيثِ فِيهَا اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ حَدِيثًا، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْلَمَنَا مَا يَنْفَعُنَا وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا وَأَنْ يَجْعَلَ هَذِهِ الدَّرُوسَ حِجَّةً لَنَا لَا عَلَيْنَا، وَأَنْ يَجْعَلَ لِي ثُمَّ أَنْتُمْ وَمَنْ يَسْتَمِعُ أَوَّلَ الْمُنْتَظِعِينَ بِمَا سَمِعْنَا إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ الدُّعَاءِ.

كما نستغفر الله ونتوب إليه ممّا قد يكون حصل في هذا الدرس من الخطأ والزلل سهواً أو جهلاً إنّه جوادٌ كريم، هذا وفي الختام أشكر الإخوة القائمين على هذه الدورة الطيبة المباركة، أسأل الله أن يكتب لهم الأجر والثوبة وأن يجزل لهم العطاء، كما أشكر طلبة العلم الذين حضروا وتحشموا المسافات وأحسنوا الظن بملقي هذا الدرس، فنسأل الله أن يكتب لهم أجرهم وأن يعوضهم عن تعبهم وحضورهم وجلوسهم، والشكر أيضاً موصول لإدارة الدعوة والإرشاد في هذه المنطقة على تفضلهم بالإذن بإقامة هذا الدرس ولا ننسى إذاعة ميراث الأنبياء على جهدهم المشكور في نقل هذه الدورة وغيرها من الدورات والدروس العلمية، نسأل الله أن يكتب لهم أيضاً الأجر والثوبة والله أعلم.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.



فهرس

٥.....	مقدمة الناشر
٦.....	مقدمة الشارح
٨.....	الحديث الأول: إنما الأعمال بالنيات
١٣.....	الحديث الثاني: الإسلام والإيمان والإحسان (حديث جبريل عليه السلام)
٢٣.....	الحديث الثالث: أركان الإسلام
٢٦.....	الحديث الرابع: مراحل خلق الإنسان والقدر
٣١.....	الحديث الخامس: النهي عن الابتداع في الدين
٣٤.....	الحديث السادس: الحلال بيّن والحرام بيّن
٣٨.....	الحديث السابع: الدين النصيحة
٤٠.....	الحديث الثامن: حرمة دم المسلم وماله
٤٥.....	الحديث التاسع: التكليف بما المستطاع والنهي عن كثرة السؤال
٤٨.....	الحديث العاشر: الطيب من الكسب والعمل
٥١.....	الحديث الحادي عشر: ترك الشبهات (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)
٥٢.....	الحديث الثاني عشر: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه
٥٤.....	الحديث الثالث عشر: حب الخير للمسلمين من الإيمان
٥٦.....	الحديث الرابع عشر: متى يهدر دم المسلم
٦٠.....	الحديث الخامس عشر: إكرام الضيف والجار وقول الخير أو الصمت
٦٢.....	الحديث السادس عشر: النهي عن الغضب
٦٤.....	الحديث السابع عشر: الأمر بالإحسان في كل شيء
٦٧.....	الحديث الثامن عشر: تقوى الله وحسن الخلق
٧٠.....	الحديث التاسع عشر: (احفظ الله يحفظك)
٧٤.....	الحديث العشرون: الحياء من الإيمان
٧٥.....	الحديث الحادي والعشرون: الاستقامة على الإيمان
٧٧.....	الحديث الثاني والعشرون: الطريق إلى الجنة

- الحديث الثالث والعشرون: جوامع الخير والفضل (الطهور شرط الإيمان) ٧٩.....
- الحديث الرابع والعشرون: تحريم الظلم بجميع صوره (حديث قدسي) ٨٤.....
- الحديث الخامس والعشرون: فضل الذكر والصدقة ٩٠.....
- الحديث السادس والعشرون: كثرة طرق الخير ٩٢.....
- الحديث السابع والعشرون: البر وحسن الخلق، والإثم وما حاك في الصدر ٩٥.....
- الحديث الثامن والعشرون: لزوم السنة والسمع والطاعة ٩٩.....
- الحديث التاسع والعشرون: أبواب الخير وملاك الأمر كله ١٠٣.....
- الحديث الثلاثون: الوقوف عند حدود الله تعالى ١٠٨.....
- الحديث الحادي والثلاثون: حقيقة الزهد في الدنيا والآخرة ١٠٩.....
- الحديث الثاني والثلاثون: لا ضرر ولا ضرار ١١٠.....
- الحديث الثالث والثلاثون: البيئة على المدعي واليمين على من أنكر ١١٢.....
- الحديث الرابع والثلاثون: تغيير المنكر باليد أو اللسان أو القلب ١١٥.....
- الحديث الخامس والثلاثون: الأخوة الإسلامية وحقوق المسلم ١١٧.....
- الحديث السادس والثلاثون: فضل قضاء حوائج المسلمين ١٢٥.....
- الحديث السابع والثلاثون: كتابة الحسنات والسيئات ومضاعفتها ١٣٠.....
- الحديث الثامن والثلاثون: من عادى لي وليا (حديث الولاية) ١٣٣.....
- الحديث التاسع والثلاثون: التجاوز عن الخطأ والنسيان والإكراه ١٣٧.....
- الحديث الأربعون: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ١٣٩.....
- الحديث الحادي والأربعون: اتباع النبي ﷺ ١٤٢.....
- الحديث الثاني والأربعون: سعة مغفرة الله تعالى ١٤٣.....
- فهرس الموضوعات ١٤٦.....